عبد المعز خطاب



من قصص القرآن للأطفال

الدار الذهبية



الدار الذهبية للطبع والنشر والتوزيع

تليفون :: ٣٥٥١٧٤٨ ـ ٣٥٤٤٧٤٨ فاكس ٣٥٤٦٠٣١

مقدمة

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى : وبعـــد .

فقد سبق أن أصدرت كتاب (قصص الأنبياء) للناشئة مبسطاً بعيداً عن البحوث المطولة والآراء المتعددة والروايات المتلاحقة وكنت أستأنس بالقرآن أستمد منه العون والعظة والعبرة .

ولما كان القرآن الكريم يحوى قصصاً آخر غير قصص الأنبياء لشخصيات صالحة وطالحة فلقد رأيت أن أعرض لبعض هذا القصص من جوانب متعددة .

فسقت (قصة ذى القرنين) هذا الملك العادل والقائد العسكرى الفذ والعالم المحيط بشتى المعارف ، وقد عمل لله وهدى شعوباً بعد أن أسعد شعبه ولم يأخذ على عمله أجراً ولم ينتظر جزاء ولاشكوراً .

(وقصة لقمان الحكيم) هذا الرجل الأسود الذى كان عبداً وحررته العقيدة ، ورفعته الحكمة وجعل الله عظته لولده نموذجاً يحتذى إذا أراد الآباء هداية الأبناء ونتعبد بها فى القرآن .

(وقصة عزير) هذا الرجل الذى ظلمه الإسرائيليون حين عبدوه من دون الله آتاه الله العلم واستوعب الشريعة الموسوية وحفظ التوراة وجعله الله نموذجاً للبعث المجسد فقد أماته الله مائة عام ثم أحياه وحافظ على شبابه حتى إن حفيده كان فى السبعين وهو مازال شاباً .

(وقصة أصحاب الكهف) هؤلاء الفتية الذين توصلوا إلى الله بفطرتهم واعتزلوا أقوامهم وجعلهم الله آية للبعث المجسد إن القارئ سيجد فى هذا الكتاب ما تقر به عينه ، وينشرح صدره وما يلقى الأضواء على كثير من آيات القرآن التى قد تمر علينا دون فهم .

﴿ **ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم** ﴾ [البقرة ١٢٧] .

عبد المعز خطاب

الأب الحانى
لقمان الحكيم

قيل إنه كان نبياً ولكنه لم يرد ضمن السلسلة المباركة للأنبياء وإن كنا لا نستبعد ذلك والله يقول : ﴿ **ولقد أرسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك** ﴾ [غافر ٧٨] .

وقيل كان عبداً من بلاد النوبة (وهذا شرف لمصر) آتاه الله الحكمة (والحكمة القول الطيب الذى ينفع الناس) وهى من أجل النعم والله يقول : ﴿ **يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيراً كثيراً وما يذكر إلا أولو الألباب** ﴾ [البقرة ٢٦٩] .

وقيل كان قاضياً عادلا من قضاة بنى إسرائيل وأجمعت الآراء على أنه كان عبداً أسوداً (والسواد لا يعيب الإنسان) (فالسواد) به تبصر العين والله نوع ألوان المخلوقات وهذا من إعجاز الله ﴿ **ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن فى ذلك لآيات للعالمين** ﴾ [الروم ٢٢] .

والكائنات تتنوع ألوانها فى الإنسان والحيوان والنبات والجبال منها الأبيض والأسود والأحمر ﴿ **ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفاً ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود * ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك إنما يخشى الله من عباده العلماء** ﴾ [فاطر٢٧ - ٢٨] .

(وعنترة العبسى) كان فارساً فى (قبيلة عبس) وكان يدافع عن قبيلته وكانت له أشعار من الحكمة وكان شديد السواد يقول :

(لئن يعيبوا سـوادى فهـو لى نسب   يوم النـزال إذا مـا فاتنى النسب)

ومن أصحـاب رسـول الله ﷺ سـود كـان لـهم دور بـارز فى الإسـلام منهـم(بلال) مؤذن رسـول الله و (أسامـة بن زيد) الذى كان يقـود الجيـوش وهـو شاب صغير .

وقد غضب النبى لمـا عير (أبو ذر الغفارى) سيدنا (بلالا) وقال له (يا ابن السوداء) فقال النبى « يا أبا ذر إنك امرؤ فيك جاهلية ليس لابن البيضاء فضل على ابن السوداء إلا بالتقوى » .

وروى أن (لقمان الحكيم) طلب منه سيده أن يذبح شـاة وأن يأتيـه (بأطيب شىء) فيها فجاءه (باللسان والقلب) فطلب منه أن يذبح شاة وأن يأتيه (بأخبث شىء فيها) فجاءه (باللسان والقلب) فسأله عن سر ذلك فقال (ماطابا فى جسد إلا طاب وما خبثا فى الجسد إلا خبث) وهو يقصـد أن (اللسان) أساس الخير والشر (والقلـب) إما أن يحمل المحبـة أو الكراهيـة وهذا ينعكس على سلوك الإنسـان . والرسول عليـه الصلاة والسلام يقـول : (المرء بأصغريه قلبه ولسانه) .

ولقد أنعم الله على لقمان بالحكمة (وهى القول الصواب) كما قال الله عن داود عليه السلام ﴿ **وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب** ﴾ [ص ٢٠] .

وكان سيدنا أبو الدرداء أحد أصحاب رسول الله ﷺ يقول (إذا رأيتم الرجل يطيل الصمت فاطلبوا عنده الحكمة) أى أن الذى يتكلم كثيراً بدون داع لا حكمة عنده ، كان لقمان حكيماً والحكمة نعمة يجب أن نشكر الله عليها ﴿ **ولقد آتينا لقمان الحكمة أن اشكر لله ومن يشكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن الله غنى حميد** ﴾ [لقمان ١٢].

لقمان يعظ ولده :

كان لسيدنا لقمان ولد وحيد أحسن تربيته ، وكان يوجهه إلى ما فيه

الصلاح فى كلمات قليلة حانية ، ولجمال هذه العظة ساقها الله فى القرآن فى سورة عرفت (بسورة لقمان) جمع فيها صلاح الدنيا والآخرة .

والحكمة : يعد الله بها الأنبياء للرسالة حتى يكون كلامهم مؤثراً فى قلوب الناس . والنبى محمد عليه الصلاة والسلام جمع الله له حكمة الرسل السابقين وأطلقها على لسانه فجاءت أحاديث رسول الله شافية هادية مؤثرة وهو القائل (أوتيت جوامع الكلم واختصرت لى الحكمة اختصاراً) .

ومن حكم لقمان من غير ماورد فى القرآن : (يابنى إذا امتلأت المعدة نامت الفكرة ، وخرست الحكمة ، وقعدت الأعضاء عن العبادة) أى أن ملء المعدة بالطعام يدعو للكسل ولا يعين الإنسان على أداء واجبه ويقول له : (يا بنى لاتكن أضعف من هذا الديك ، يؤذن للفجر وأنت نائم) وهى دعوة لصلاة الفجر والنشاط والبكور حتى يكسب الإنسان وقته .

القيم فى موعظة لقمان :

وإذا وقفنا أمام عظة لقمان لولده نجد القيم التالية :

أولا : دعوة للوحدانية الخالصة :

فالله واحد أحد لا يليق به أن تشرك به شيئاً ﴿ **وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يابنى لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم** ﴾ . [لقمان ١٣] والشرك أن تعبد مع الله غيره كما كان أهل الجاهلية يعبدون الأصنام والأشجار والكواكب والنجوم وكما عبد (المجوس) النار .

ثانياً : أوصاه ببر الوالدين :

فهما السبب فى مجىء الإنسان بعد الله (الأم) التى حملت ووضعت وأرضعت وربت وسهرت الليالى (والأب) الذى تحمل الكثير فى سبيل إسعاد أبنائه ﴿ **ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهناً على**

وهــن – أى ضعفاً على ضعف – **وفصــاله فى عامــين** ـ أى إرضــاعــه لابد أن يكتمل بسنتين حتى ينمــو الجسم – **أن اشــكر لى ولوالديك إلى المصير** ﴾ [لقمان ١٤] .

فلا يقبــل شــكر الله بدون شــكر الوالدين .

والله دائماً يوصى بالإحسان بالوالدين بعد العبودية لله ﴿ **وقضى ربك ألا تعبــــدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا** ﴾ [الإسـراء ٢٣] . ﴿ **واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحسانا** ﴾ [النساء ٣٦] .

وفى أول الوصــايا العشر التى جــاءت فى التــوراة والإنجـيل والقرآن ﴿ **قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليــكم ألا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحسانا** ﴾ . [الأنعام ١٥١] .

ثالثـاً : رقابة الله الدائمـة :

فالله يراقبك فى سرك وجهرك فى نومك ويقظتك ويعلم كل ما يجرى فى الكون ولا تخفى عليه خافية فى الأرض ولا فى السماء ﴿ **يا بنى إنها تك مثقال حبة من خردل** – أصغر الحبوب – **فتكن فى صخرة أو فى السموات أو فى الأرض يأت بها الله إن الله لطيف خبير** ﴾ [لقمان ١٦] .

وكل شيء يسجله الله على الإنسان (منذ عهد التكليف إلى أن يمـوت) ﴿ **وإن عليــكم لحـافظـين * كراماً كاتبـين * يعلمــون ما تفعلــون** ﴾ [الانفطار ١٠ – ١٢] .

رابعاً : إقامـة الصلاة :

وهى العبادة التى يؤديها المسلم مـنذ الصغر لأن الصــلاة عماد الدين ﴿ **يابنى أقم الصلاة** ﴾ والصلاة تؤمن الإنسان وتشعره أنه بين يدى ربه وتغسل الذنوب وتطهر القلوب وتبعد الإنسان عن المعاصى والمنكرات ﴿ **إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر** ﴾ [العنكبوت ٤٥] .

والرسول أمر الصبى أن يتعود على أداء الصلاة وهو فى سن السابعة ويعاقب إذا أهملها وهو فى سن العاشرة يقول عليه الصلاة والسلام (مروهم بالصلاة لسبع واضربوهم عليها لعشر) .

خامساً : الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر :

أى التوجيه إلى الالتزام بالطاعات والبعد عن المحرمات وهو يعنى (طهارة فى القلب وطهارة فى اليد وطهارة فى اللسان) ، وما دام هذا المبدأ سائداً فى المجتمع فالمجتمع فى أمان وفى سلام . ويجب على المسلم أن يرفض المنكر فى أية صورة وإن استطاع أن يغيره فليفعل حسب استطاعته ، وهذا معنى قول رسول الله ﷺ (من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وهذا أضعف الإيمان) وتغيير المنكر باليد يكون لولى الأمر (وباللسان) للعلماء والدعاة (ورفض المنكر بالقلب) لكل مسلم حتى لا يكون فى المجتمع منكرات .

سادساً : الصبر على المكاره :

﴿ **واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور** ﴾ [لقمان ١٧] فالإنسان معرض للابتلاء (قد يصاب فى ماله أو فى جسده أو فى أعز الناس عليه) وليس له إلا الصبر وإرجاع الأمر لله ﴿ **وبشر الصابرين * الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون * أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون** ﴾ [البقرة ١٥٥ - ١٥٧] .

والقرآن عرض علينا نماذج من الأنبياء والصالحين ، وأهم درجات الصبر (الصبر على الفقر والصبر مع المرض والصبر عند الحروب والمحن) وهذا معنى قول الله ﴿ **والصابرين فى البأساء** ـ الفقر - **والضراء** - المرض أو المصيبة - **وحين البأس** - وقت الحروب - **أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون** ﴾ .[البقرة ١٧٧] .

(وسورة العصر) فيها تجسيد لمنهج الإسلام والوصاية بالصبر ﴿ **والعصر * إن الإنسان لفى خسر * إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر** ﴾ [العصر ١ - ٣] .

سابعاً : عدم الكبرياء :

﴿ **ولا تصعر خدك للناس** ﴾ [لقمان ١٨] . والصَّعَر مرض يصيب أعناق الجمال فتلوى أعناقها وكذلك المتكبر ، والله ذم إبليس لأنه تكبر وعصى الله بعدم السجود لآدم ولذلك قال له ﴿ **يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدى أستكبرت أم كنت من العالين** ﴾ [ص ٧٥] .

وأهلك الله فرعون لأنه تكبر وطغى ، ولا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من كبر ، والله وحده المتكبر لا ينازعه أحد ﴿ **فلله الحمد رب السموات ورب الأرض رب العالمين * وله الكبرياء فى السموات والأرض وهوالعزيز الحكيم** ﴾ [الجاثية ٣٦ - ٣٧] .

ثامناً : عدم الخيلاء :

ومعناه الاستهتار والاستهانة بأقدار الناس ، والإنسان ضعيف . . لن يكون مثل الجبال فى قوتها وعلوها (والفخر) صفة ذميمة ﴿ **ولا تمش فى الأرض مرحاً إن الله لا يحب كل مختال فخور** ﴾ [لقمان ١٥] .

تاسعاً : الاعتدال فى كل شىء :

﴿ **واقصد فى مشيك** ﴾ [لقمان ٢٠] . أى : اعتدل فى كل شئون الحياة ، فالخروج من المألوف يوقع الإنسان فى الخطر ، وقد وصف الله أمة محمد أنها (أمة معتدلة فى عبادتها وفى معاملاتها وفى حياتها) ﴿ **وكذلك جعلناكم أمة وسطا** ﴾ [البقرة ١٤٣] .

وسط فى الصلاة : ﴿ **ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا** ﴾ [الإسراء ١١٠] .

أى أدِّ الصلاة باعتدال لا تطيل فيها ولا تخطفها خطفاً .

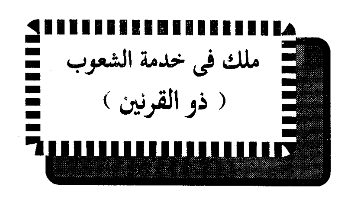
وسط فى الإنفاق : فلا بخل ولا إسراف ﴿ **والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً** ﴾ [الفرقان ٦٧] .

عاشراً : غض الصوت :

فلا داعى لرفع الصوت بدون داع (فالحمار هو الذى ينطلق فجأة بصوت منكر تنفر منه الأذواق) ﴿ **واغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير** ﴾ [لقمان ٢٠] .

فالصوت العالى دليل الضعف ، أما (غض الصوت) فدليل الثقة بالنفس .

* * *



ملك فى خدمة الشعوب
(ذو القرنين)

إنه (ذو القرنين) الذى وردت قصته فى القرآن (لا نعرف مكانه ولا زمانه) وإنما تهمنا مبادئه وسيرته الزكية .

قيل سمى بذلك لأنه كان يلبس (خوذة على رأسه) يخرج منها قرنان دليل الشجاعة والفروسية ، وقيل لأنه عاش (قرنين من الزمان) أى نحو مائتى عام ، وقيل لأنه جاب الأرض شرقاً وغرباً ، وقيل لأنه قام يدعو الناس إلى الإيمان فضربه السفهاء على قرنه الأيمن فمات ثم أحياه الله وعاود الدعوة لله ، فضربوه على قرنه الأيسر فقتلوه فأحياه الله فآمن به الناس ، وقيل إنه (الإسكندر الأكبر) القائد المشهور الذى أسس مدينة (الإسكندرية) لما غزا مصر لكننا نرفض ذلك لأن (الإسكندر الأكبر) كان وثنياً وعبد الأصنام ، وقيل (ملك من ملوك اليمن) لأنهم يلقبون (بذى) مثل (ذو نواس) (ذو يمن) وسواء كان هذا أو ذاك فهو عبد من عباد الله الصالحين ، آتاه الله ملكاً عظيماً ونشر ، العقيدة الصحيحة فى شعبه ، وأسعده بالعدل والرحمة والرخاء ، ثم مضى ينشر العقيدة والمبادئ القويمة شرقا وغرباً فى سبيل هذه الرسالة .

وروى أن قريشاً أرادت إحراج النبى ﷺ ، فذهبت إلى أحبار اليهود فى المدينة فقالوا لهم (سلوه عن ثلاث فإن أجابكم عنهن فهو نبى مرسل وإلا فهو رجل متقول اصنعوا به ما أردتم) (سلوه عن فتية ذهبوا فى الدهر الأول وعن ملك طواف وعن الروح) ولما واجهته قريش بهذه الأسئلة أنزل الله (سورة الكهف) وفيها (قصة الفتية وهم أصحاب الكهف) .

(وقصة الملك الطواف وهو ذو القرنين) (وأنزل الله بياناً شافياً عن الروح) ﴿ **ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم إلا قليلا** ﴾ [الإسراء ٨٥] .

حقيقة ذى القرنين :

﴿ **ويسألونك عن ذى القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكرا * إنا مكنا له فى الأرض وآتيناه من كل شىء سببا * فأتبع سببا** ﴾ .

[الكهف ٨٣ – ٨٥]

كان موحداً مؤمناً يحكم شعبه بشريعة الله والعدالة ، وآتاه الله ملكاً عظيماً وسخر له كل الإمكانات . والتمكين فى الأرض لا يكون إلا بالعقيدة الصحيحة والعمل الصالح كما قال المولى ﴿ **وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدوننى لا يشركون بى شيئا** ﴾ [النور ٥٥] .

والتمكين فى الأرض يتطلب طاعة وخوفاً من الله وعبادة وطهارة فى كل شىء ﴿ **الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور** ﴾ [الحج ٤١] .

ذو القرنين فى الغرب : اتجه ناحية الغرب بجيشه العظيم فبلغ أرضاً زراعية ووصل هناك عند غروب الشمس ويخيل إليك أن (قرص الشمس) يغوص فى (البحر) إن كنت على شاطئ البحر (أو فى الرمال) إن كنت فى الصحراء ، بلغ مكاناً فيه طين (دليل الزراعة) ورأى شعباً وثنياً يسوده الظلم والبغى ، والقوى ينكل بالضعيف ، فطبق شرع الله وأعادهم إلى الوحدانية وكافأ المحسن وعاقب المسىء ، حتى سادت العدالة وانتظمت

الأمور وولى عليهم الصالحين ﴿ **حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب فى عين حمئة** – من الحمأ وهو الطين – **ووجد عندها قوما قلنا ياذا القرنين إما أن تعذب وإما أن تتخذ فيهم حسنا * قال أما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد إلى ربه فيعذبه عذاباً نكرا * وأما من آمن وعمل صالحاً فله جزاء الحسنى** – الجنة – **وسنقول له من أمرنا يسرا * ثم أتبع سببا** ﴾ [الكهف ٨٦ – ٨٩] .

ذو القرنين فى المشرق : اتجه شرقاً حتى بلغ منطقة صحراوية لا يستر أهلها شيء من الشمس وهم أشباه عرايا ، فنفذ فيهم حكم الله وأعاد الحق إلى نصابه والقرآن لم يكرر الكلام فهو واضح من النص ﴿ **حتى إذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا * كذلك وقد أحطنا بما لديه خبرا * ثم أتبع سببا** ﴾ [الكهف ٩٠ – ٩٢] .

ذو القرنين مع شعب الجبال : مضى حتى بلغ مكاناً جبلياً (بين جبلين) ورأى شعباً متخلفاً لم يستطع أن يخاطبه إلا بصعوبة ، إما أن الله علمه لغاتهم وإما بالإشارة ، وبين الجبلين ممر ينفذ منه العدو فى أوقات معينة فيغير عليه ويغتصب ثرواته وينتهك حرماته ، وهو لا يستطيع له دفعاً فلما رأوا (ذا القرنين) عرضوا عليه جزءاً من ثرواتهم فى مقابل حمايتهم وسد الممر الذى ينفذ منه العدو ﴿ **حتى إذا بلغ بين السدين** ـ الجبلين ـ **وجد من دونهما قوماً لا يكادون يفقهون قولا * قالوا ياذا القرنين إن يأجوج ومأجوج** – وهما قبيلتان دمويتان – **مفسدون فى الأرض فهل نجعل لك خرجا** – شيئاً من أموالنا – **على أن تجعل بيننا وبينهم سداً** ﴾ [الكهف ٩٣ – ٩٤] .

أى تسد الممر فلا يقدر العدو على العدوان ، ورفض (ذو القرنين) أن يأخذ منهم شيئاً ، فقد أغناه الله (وكيف يأخذ القادر من المحتاج) كما

رفض أن يستغل جنوده فى الدفاع عنهم ، وإنما حرك الهمم وأيقظ الشعب وحوله إلى (خلية نحل) ، الجميع يشاركون فى الدفاع عن الأرض وعن العرض ﴿ **قال ما مكنى فيه ربى خير فأعينونى بقوة أجعل بينكم وبينهم ردماً** ﴾ [الكهف ٩٥] .

وهذا أدب عال من ذى القرنين (فالردم) من صنع الإنسان (أما السد : أى الجبل) فمن صنع الله .

نفخ فيهم روح العمل وفجر الطاقات الكامنة فيهم ودفعهم إلى جمع (الحديد) الموجود فى أرضهم وأن يرفعوه (حتى مستوى سطح الجبلين) ثم يشعلوا نارا حتى يتوهج الحديد ثم يأتوا (بالنحاس المذاب) وهو سائل فيسكبوه على الحديد فيختلط به وعند ما يبرد النحاس والحديد تتكون كتلة صلبة تسد الممر ولا يستطيع العدو اختراقها بالصعود فوقها أو ثقبها وكل هذا يتطلب عملا شاقا وجهداً خارقا (فذو القرنين أمدهم بما آتاه الله من علم) ولم يبخل عليهم بالمشورة وتم العمل العظيم وعجز (يأجوج ومأجوج عن اختراق الردم) ﴿ **آتونى زبر الحديد** – قطع الحديد – **حتى إذا ساوى بين الصدفين** – قمتى الجبلين – **قال انفخوا** – أشعلوا ناراً عظيمة تصهر الحديد – **حتى إذا جعله ناراً قال آتونى أفرغ عليه قطرا** – نحاساً مذاباً – **فما اسطاعوا أن يظهروه** – يصعدوا فوقه – **وما استطاعوا له نقبا** ﴾ [الكهف ٩٦ – ٩٧] .

لقد قدم (ذو القرنين) المعونة دون مقابل (على عكس دول الاستعمار التى تدعى معاونة الشعوب لتستنفد ثرواتها) وما استخدم ذو القرنين جنده وإنما أراد للشعب أن يتحمل مسئولية الدفاع عن نفسه .

يأجوج ومأجوج : من علامات الساعة الكبرى (خروج يأجوج ومأجوج) وقد وصفهم المفسرون بأنهم مشوهون غلاظ القلوب

والله يقـول ﴿ **حتى إذا فتـحت يأجـوج ومأجوج وهـم من كل حدب ينسلون** ﴾ [الأنبياء ٩٦] .

فهـم كثرة بالغة وسيخرجون آخر الزمان ويفسدون فى الأرض إلى أن يهلكهم الله وهم يشبهون (التتار) فى العصور الوسطى حين خرجوا على العالم بأعداد رهيبة وأهلكوا الحرث والنسل وخربوا المدن وأحرقوا الكتب وكانوا بحق (أعداء الحضارة) .

وقد خرج النبى يوماً وهو يبكى وقال (ويل للعرب من شر قد اقترب فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه) وحلق بإصبعيه السبابة والإبهام فقالت السيدة زينب بنت جحش زوجة رسول الله (أنهلك وفينا الصـالحـون ؟) قال (نعم إذا كـثر الخبث) أى الزنا والقتـل وواضـح أن (يأجـوج ومأجـوج) كـثرة بالغـة ويتناسلون تناسل الدود دمويون ومخربون ، ولعل قائلاً يقول (أين ردم يأجوج ومأجوج) ؟ (وأين هم) ؟ وهل نحن نعلم شيئاً ؟ ﴿ **وما أوتيتم من العلم إلا قليلا** ﴾ [الإسراء ٨٥] .

وفى كل يوم نكتشف مدناً وحضارات وآثاراً مخبوءة .

* * *

رجل يواجه أمة
(مؤمن يس)

كم شهدت العصور رجالا أوتوا من قوة العقيدة والشجاعة وعظم الخطر وهذا نموذج لرجل نقي الفطرة ﴿ **فطرة الله التى فطر الناس عليها** ﴾ .

[الروم ٣٠]

لقد كانت هناك مدينة (لا يهمنا اسمها ولا مكانها) انحرف أهلها عن الفطرة وعبدوا غير الله ، وظلموا وبغوا ، فأرسل الله إليهم رسولين بدعوة الله لكن أهل المدينة كذبوهما وسبوهما ﴿ **واضرب لهم مثلا أصحاب القرية** – المدينة – **إذ جاءها المرسلون * إذ أرسلنا إليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث فقالوا إنا إليكم مرسلون** ﴾ [يس ١٣ – ١٤] .

لكن القوم صدوا عن سبيل الله واتهموا الرسل بالبشرية .. كيف يرسل الله بشراً رسولا ؟ كان أولى أن يرسل ملائكة ، وجحدوا آيات الله وكذبوا الرسل ، ﴿ **قالوا ما أنتم إلا بشر مثلنا وما أنزل الرحمن من شيء إن أنتم إلا تكذبون** ﴾ [يس ١٥] .

لكن الرسل أكدوا أنهم من عند الله ولابد من تبليغ الرسالة وأداء الأمانة والله أعلم بهم ﴿ **قالوا ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون * وما علينا إلا البلاغ المبين** ﴾ [يس ١٦ – ١٧] .

وازداد القوم عتواً وإعراضاً وأعلنوا أنهم يتشاءمون من هؤلاء الرسل ﴿ **قالوا إنا تطيرنا بكم** – أى تشاءمنا منكم – **لئن لم تنتهوا لنرجمنكم** – بالحجارة حتى الموت – **وليمسنكم منا عذاب أليم** ﴾ [يس ١٨] .

وفى هدوء قال الرسل تشاؤمكم مردود عليكم لأنه من صنع أوهامكم ، أتقابلون دعوة الله بالإساءة والنكران . إنكم مجاوزون للحد ﴿ **قالوا طائركم معكم أئن ذكرتم بل أنتم قوم مسرفون** ﴾ [يس ١٩] .

وقفت المدينة كلها ضد الرسل وإذا برجل مجهول ليس له قبيلة تحميه ولا أعوان يدافعون عنه ، يتقدم الصفوف ويسعى لنصرة الرسل ودافع عنهم بمنطق سديد وحجة بالغة ، ونصح قومه باتباع الرسل الذين لا يسألون على رسالتهم أجراً ولا يبتغون من ورائها مكسباً ﴿ **وجاء من أقصا المدينة رجل يسعى قال يا قوم اتبعوا المرسلين * اتبعوا من لا يسألكم أجراً وهم مهتدون * ومالى لا أعبد الذى فطرنى وإليه ترجعون** ﴾ [يس ٢٠ - ٢٢] .

أعلن إيمانه وهاجم الأصنام التى يعبدونها وهى لا تضر ولا تنفع ولا تبصر ولا تسمع ولا تستطيع دفع الأذى عنهم ولا عن نفسها وكرر نداء الإيمان فارع المكان ﴿ **أأتخذ من دونه آلهة إن يردن الرحمن بضر لا تغن عنى شفاعتهم شيئاً ولا ينقذون * إنى إذاً لفى ضلال مبين * إنى آمنت بربكم فاسمعون** ﴾ [يس ٢٣ - ٢٥] .

وتجمعوا عليه يضربونه ويقذفونه بالحجارة حتى نال الشهادة وهو مصر على موقفه ، حملته الملائكة إلى الجنة ، وتمنى لو علم قومه بما هو فيه من نعيم ، وكيف غفر الله له وكرمه ﴿ **قيل ادخل الجنة قال ياليت قومى يعلمون * بما غفر لى ربى وجعلنى من المكرمين** ﴾ [يس ٢٦ - ٢٧] .

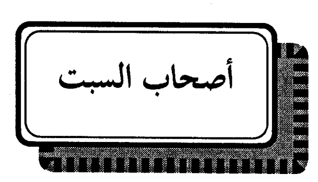
لقد نقله الله من ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة ومن عذاب القوم إلى نعيم الجنة ، وهاهو لا يحمل لقومه غلا ولا كراهية ، بل يتمنى لو ساروا سيرته ونعموا فى الجنة ، وانتقم الله منهم فما أرسل عليهم جنوداً يقتلونهم وإنما أرسل جبريل فصاح عليهم صيحة واحدة شلت الأبدان وهشمت العظام وخمدت الأنفاس ، وتحولوا إلى جثث لاحراك فيها كأنهم ماكانوا

ولا وجدوا ﴿ **وما أنزلنـا على قومـه من بعـده من جنـد من السماء وماكنـا منزلين * إن كانت إلا صيحـة واحـدة فإذا هم خامـدون** ﴾ .

[يس ٢٨ - ٢٩]

ويعقب المولى وهو يندد بمشركى العرب الذين عاندوا النبى وسخـروا من رسالته ﴿ **ياحسـرة على العباد ما يأتيهم من رسـول إلا كانوا به يستهزئون** ﴾ [يس ٣٠] .

* * *



أصحاب السبت

إن بنى إسرائيل منذ وجدوا وهم خارجون على منهج الله يؤولون النصوص حسب هواهم ويتاجرون فى الدين .

والقرآن يعرض علينا نموذجاً من انحراف بنى إسرائيل لم يحدد المكان ولا الزمان لأننا فى مقام عبرة وعظة .

(مدينة على شاطئ البحر) كأى مدينة من مدن الشواطئ يعمل أهلها بالصيد ، وكان الله قد فرض على بنى إسرائيل ألا يعملوا يوم السبت ، وإلا عاقبهم . والتزموا بذلك زمناً ثم انحرفت فطرتهم وكان بعضهم خفية يعصى الله فى يوم السبت وهو يظن أن الله لايراه .

فوضعهم المولى أمام اختبار ساق لهم الأسماك (يوم السبت) بكثرة بالغة مشرعة أذنابها كأنها تنادى على الصيادين لكى يصيدوها (وبقية أيام الأسبوع) ليس لها أثر كأن البحر قد خلا من الأسماك ، وبنو إسرائيل يرون ذلك وتحدثهم نفوسهم الخبيثة أن يخرجوا على شرع الله وفى هذا ابتلاء من الله ﴿ **واسألهم عن القرية** – المدينة – **التى كانت حاضرة البحر** – من مدن الشواطئ – **إذ يعدون فى السبت** – أى يعتدون – **إذ تأتيهم حيتانهم** – أسماكهم – **يوم سبتهم شرعاً** – ظاهرة طافية على وجه الماء – **ويوم لا يسبتون** – بقية أيام الأسبوع –**لا تأتيهم كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون** ﴾ [الأعراف ١٦٣] .

وانقسم أهل المدينة إلى ثلاث فرق (فرقة تجرأت على الله ونصبت شباكها يوم الجمعة وتركتها يوم السبت حتى امتلأت بالأسماك ثم سحبتها

يوم الأحد ، وهى تظن أنها لم تعص الله ولم تعمل يوم السبت ، وفرقة أيدتها وباركت العصيان ولو أنها لم تشترك معها ، وفرقة ثالثة من الطائعين وهم قلة حذروا الفريق العاصى من غضب الله واعتدائهم على يوم السبت المقدس . فتصدت لهم الفرقة الوسط وحاولت تثبيط عزائمهم وادعوا أن الله مطلع عليهم وإن شاء عاقبهم ، فلماذا النصح ؟ وطلبوا منهم أن يكفوا عن دعوتهم . لكن الفرقة المهتدية استمرت فى دعوتها وأعلنت تبرؤها مما فعل المنحرفون لعل ذلك يكون لهم عذراً عند الله ﴿ **وإذ قالت أمة منهم** – جماعة منهم وهم الوسط – **لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذاباً شديداً قالوا معذرة إلى ربكم ولعلهم يتقون** ﴾ [الأعراف ١٦٤] .

فلما استمر الحال والعصيان يوم السبت سلط الله على الفريق العاصى والفريق المؤيد عذاباً شديداً (قيل مرضاً أو وباء ونجت الفرقة المهتدية الناصحة ، ثم أعطاهم الله فرصة جديدة ، وكشف عنهم العذاب ، وإذا بالفرقة الضالة والفرقة المؤيدة لها يتحدون أوامر الله ونصبوا الشباك يوم السبت لينعموا بالصيد الوفير – وقالوا إن الله لايرضى لنا ولأولادنا أن نجوع بقية الأسبوع ، وظلت الفرقة الواعظة فى أداء رسالتها ودعوتها إلى الحق ، وهنا سلط الله على العصاة عذاباً شديداً ومسخهم قردة ونجت الفرقة المهتدية .

﴿ **فلما نسوا ماذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون * فلما عتوا عما نهوا عنه** – ازدادوا عتوا وتجرءوا فى يوم السبت – **قلنا لهم كونوا قردة خاسئين** ﴾ [الأعراف ١٦٥ – ١٦٦] .

وكتب الله على اليهود التشرد والعذاب الأبدى والمطاردة من كل الشعوب ، وسلط عليهم من لا يرحمهم عبر التاريخ ﴿ **وإذ تأذن ربك**

ليبعثن عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب إن ربك لسريع العقاب وإنه لغفور رحيم ﴾ [الأعراف ١٦٧] .

ومن رحمة الله بنا أنه فرض علينا (يوم الجمعة) صلاة جامعة هى (صلاة الجمعة) وأذن لنا إذا ما انتهينا من صلاتنا أن ننتشر فى الأرض ونأكل من رزق الله ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خيرلكم إن كنتم تعلمون * فإذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون** ﴾ [الجمعة ٩ - ١٠] .

واليهود يحسدوننا على أمور كثيرة فى عقيدتنا وعلى الأخص ثلاثة (صلاة الجمعة) (والقبلة التى نتجه إليها فى صلاتنا) (والتأمين عقب قراءة الإمام سورة الفاتحة) يقول عليه الصلاة والسلام (إنهم لايحسدوننا على شىء كما يحسدوننا على يوم الجمعة التى هدانا الله إليها وضلوا عنها ، وعلى القبلة التى هدانا الله إليها وضلوا عنها ، وعلى قولنا خلف الإمام آمين) .

* * *

شباب الإيمان

أصحاب الكهف

هذا نموذج للشباب الصالح الذى اهتدى إلى العقيدة الصحيحة بفطرته المستقيمة بعيداً عن المؤثرات وتمسك بعقيدته رغم محاولات الضغط عليهم ، رفضوا عبادة الأصنام وارتضوا بخالق السموات والأرض ربا وسلط الله عليهم النوم قروناً ثم أيقظهم ، لقد لخض الله قصتهم ﴿ **أم حسبت أن أصحاب الكهف** – فتحة أسفل الجبل – **والرقيم** – اسم الوادى الذى فيه الجبل – **كانوا من آياتنا عجبا إذ أوى الفتية إلى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيّىء لنا من أمرنا رشدا * فضربنا على آذانهم** – كناية النوم – **فى الكهف سنين عددا * ثم بعثناهم لنعلم أى الحزبين أحصى لما لبثوا أمدا** ﴾ [الكهف ٩ – ١٢] .

ويجىء التفصيل : إنهم جماعة من الشباب الصالح اجتمعوا على الحق وتوصلوا إلى الله بفطرتهم المستقيمة ، عرفوا الله من سمواته وأرضه وشموسه وأقماره وأنهاره وبحاره وسهوله وجباله (فنظرة إلى الكون تدلك على الله) ولا يدعى أحد أنه خلق هذا الكون حتى المشركون أقروا بأن الخالق هو الله ﴿ **ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله** ﴾ . [العنكبوت ٦١] .

رفضوا ما عليه قومهم من وثنية وأنفوا أن يسجدوا لأحجار لا تضر ولا تنفع ولا تبصر ولا تسمع ﴿ **نحن نقص عليك نبأهم بالحق إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى * وربطنا على قلوبهم إذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والأرض لن ندعو من دونه إلهاً لقد قلنا إذاً شططا** – جاوزنا الحد – ﴾ [الكهف ١٣ – ١٤] .

الفتية فى الكهف : تشاوروا فيما بينهم هل يهجمون على قومهم بقوة السلاح ويجبرونهم على الإيمان (وهم قلة والملك الطاغية يحرسه جيش جرار) ؟ إذن هى عملية انتحارية والأفضل (الانسحاب بهدوء إلى كهف كانوا يجتمعون فيه) يجدون فيه الراحة والهدوء حتى يجعل الله لهم مخرجا ﴿ **وإذ اعتزلتموهم وما يعبدون إلا الله فأووا إلى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيئ لكم من أمركم مرفقا** ﴾ [الكهف ١٦] .

كما قال يوسف : ﴿ **رب السجن أحب إلى مما يدعوننى إليه** ﴾ .

[يوسف ٣٣]

كان الفتية من أبناء الوجهاء وسكان القصور فآثروا العقيدة وتركوا الرفاهية وأووا إلى الكهف (وهو فتحة فى أسفل الجبل) على عكس (الغار وهو فتحة فى أعلى الجبل) مثل غار حراء وغار ثور الذى كان يأوى إليه رسول الله ﷺ .

وما إن دخلوا الكهف وكانوا يجرون وما حملوا معهم شيئاً حتى ارتموا من شدة الإرهاق وراحوا فى سبات عميق ، وكان قد تبعهم كلب لأحدهم ودخل معهم الكهف وكان بمثابة الحارس لهم وتوالت الأيام والشهور وهم نيام بقدرة الله ، والله حفظهم فأمر الشمس ألا تحرقهم بحرارتها وأن تميل عنهم ، وحفظ عليهم أشعارهم فلم تطل وأظافرهم كذلك وشبابهم فلم ينلهم كبر ﴿ **وترى الشمس إذا طلعت تزاور** – تميل – **عن كهفهم ذات اليمين وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال وهم فى فجوة منه** ﴾ .

[الكهف ١٧]

وكان الله راعيهم يقلبهم يمنة ويسرة حتى لا تأكل الأرض أجسادهم ولكى يرهبوا من يحاول اقتحام الكهف عليهم فسيظنهم مستيقظين وخلع

عليهم مهابة ﴿ **وتحسبهم أيقاظاً وهم رقود ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد** - مدخل الكهف - **لو اطلعت عليهم لوليت منهم فراراً ولملئت منهم رعبا** ﴾ [الكهف ١٨] .

ونرفض الإسرائيليات التى تدعى أن أشعارهم طالت حتى غطت أجسامهم وأن أظافرهم طالت حتى صارت كالحراب ولو حدث ذلك لخاف بعضهم من بعض لما استيقظوا ولكن شيئاً لم يتغير فيهم حتى الملابس لم يأكلها البلى ، ولما استيقظوا بعد مئات السنين لم يحسوا بمرور الزمن وظنوا أنهم ناموا يوماً أو بعض يوم (والنائم والميت لايحسان بمرور الزمن) ولكنهم لم يستمروا في السؤال ، فالله أعلم بالمدة التى ناموها لكنهم الآن يحسون بالجوع وما حملوا معهم طعاماً ، ورأوا أن يتوجه أحدهم إلى المدينة - وهى ليست ببعيدة - ويشترى لهم طعاماً زكيا ولا يفاصل فى الثمن حتى لا يشعر بهم أحد ، ويكون حذراً فى ذهابه وإيابه حتى لا يتعقبه أحد فيكتشف مخبأهم ، وهم يعتقدون أن الملك سيطاردهم بوصفهم خارجين عن النظام ، وإذا ماقبض عليهم إما أن يعيدهم لعبادة الأصنام وإما أن يرجموهم بالحجارة حتى الموت جزاء خروجهم على الدين .

﴿ **وكذلك بعثناهم** - أيقظناهم - **ليتساءلوا بينهم قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم قالوا ربكم أعلم بما لبثتم فابعثوا أحدكم بورقكم** - عملة فضية - **هذه إلى المدينة فلينظر أيها أزكى طعاماً فليأتكم برزق منه وليتلطف ولا يشعرن بكم أحدا * إنهم إن يظهروا عليكم** - يقبضوا عليكم - **يرجموكم** - بالحجارة حتى الموت - **أو يعيدوكم فى ملتهم ولن تفلحوا إذاً أبدا** ﴾ [الكهف ١٩ - ٢٠] إذا عدتم لدين الضلال .

ظهور الحقيقة : كان الفتى الذى ذهب لجلب الطعام يلبس ملابس غريبة بالنسبة لأهل البلاد تلفت الأنظار ، ورأى المدينة قد تغيرت مبانيها وطرقها ، فوقف أمام أول بائع وأبرز (نقوده القديمة) وطلب شراء بعض السلع التى يحتاجها أصحابه وتفرس البائع فى ملبسه والنقود التى معه وسأله عن مصدرها فذكر له أنها كسبها بالأمس ، لكن البائع ظن أنه عثر على كنز ثمين ، فهذه العملة مضت عليها قرون ، وأنها من زمان ملك جبار طواه التاريخ ، ولما أحس الفتى بذلك أراد الفرار لكن البائع نادى على الناس فأمسكوا به وقادوه إلى الشرطة والشرطة عرفت الحقيقة وطمأنه أن الملك الجبار قد مات من قرون وأن المدينة تغيرت عقيدتها من الضلال إلى الإيمان ، وأن هذا الفتى ضمن الفتية الذين هجروا مدينتهم ، فراراً بدينهم ، ومضوا معه إلى الكهف فرأوا الشباب الصالح ونظروا إليهم كقديسين ، فتمنوا الموت لأنهم لا يصلحون للحياة بين الناس فقبض الله أرواحهم .

كانت هذه القصة دليلا على البعث المجسد فكما يموت العباد يبعثون ، وتنازع القوم ماذا يصنعون معهم ، فريق رأى سد باب الكهف وتركهم فى رعاية الله والأكثرية طالبت بإقامة مسجد على هذا المكان المقدس ﴿ **وكذلك أعثرنا عليهم ليعلموا أن وعد الله حق وأن الساعة لاريب فيها إذ يتنازعون بينهم أمرهم فقالوا ابنوا عليهم بنياناً ربهم أعلم بهم** – أى سدوا باب الكهف – **قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذنّ عليهم مسجدا** ﴾ [الكهف ٢١] .

والرسول قال « لا تجعلوا قبرى بعدى وثنا يعبد » .

تعنت اليهود : لقد ادعوا أنهم يعلمون (عدد الفتية أصحاب الكهف) من قائل (إنهم ثلاثة والكلب الرابع) ومن قائل (إنهم خمسة والكلب السادس) وفريق واثق من نفسه (إنهم سبعة والكلب الثامن)

ويعلق المولى أنه أعلم بعددهم وأن قلة هم الذين يعلمون ذلك ومنهم رسـول الله ﷺ وعبـد الله بـن عـبـاس .

وصرفنا الله المولى عن الجدال والمراء فى قضية لا يعـلم علمها إلا الله ﴿ **سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب** - بدون دليـل - **ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم قـل ربى أعـلم بعـدتهم ما يعلمهم إلا قليل فلا تمار فيهم إلا مراء ظاهراً ولا تستفت فيهم منهم أحداً** ﴾ [الكهف ٢٢] .

كما تعنتوا فى المدة التى قضوها فى الكهف : وقالوا (إنها ثلاثمائة سنة) وازدادوا تسعة أعوام (الفرق بين التقويم الهجرى والميلادى) لكن الله فصل فى القضية هو أعلم بالمدة ، وكأنه سبحانه أراد أن يصرفنا عن الجدال والمراء والمناقشة غير المجدية ، وما دام قد سكت عن الزمان والمكان والأشخاص فلا نتعنت ، (والإسرائيليات) حددت أعدادهم وأسماءهم بل واسم الكلب ولونه وفصيلته وهـذا تعنت لامعنى له ﴿ **ولبثـوا فى كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعاً * قل الله أعلم بما لبثوا له غيب السموات والأرض** ﴾ [الكهف ٢٥ - ٢٦] .

ولنقرأ القرآن ولنقف عند حدوده ولا يدفعنا المتشككون إلى التعنت فالله هو ملجأ المـؤمنين ﴿ **واتل ما أوحى إليك من كتاب ربك لا مبدل لكلماته ولن تجد من دونه ملتحدا** ﴾ [الكهف ٢٧] .

* * *

أول جريمة على وجه الأرض
قتل أخ أخاه

القرآن يحدثنا عن اثنين من أبناء آدم والأرجح أنهما أول ما أنجب وسكت القرآن عن اسميهما وإن كان الشائع أنهما (هابيل الطائع) (وقابيل الشقي) كان الأخوان فى موقف طاعة وتقديم قربان لله لأمر ما قد يتعلق بنذر أو زواج ألهمهم الوفاء (وكان القربان قديماً يقدم فتنزل نار من السماء فتأكله كما قال المولى عن تعنت اليهود وتشكيكهم فى سيدنا محمد ﷺ ﴿ **الذين قالوا إن الله عهد إلينا ألا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار** ﴾ [آل عمران ١٨٢] .

والله كرم أمة محمد فأمرها أن تستفيد بنذرها وأن يأكل منه الفقراء ، والله يتقبل القربان من الطائع ويرفضه من العاصى ﴿ **أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الأرض أم نجعل المتقين كالفجار** ﴾ [ص ٣٨] .

﴿ **واتل عليهم نبأ ابنى آدم بالحق إذ قربا قرباناً فتُقُبِّل من أحدهما ولم يَتَقَبَّل من الآخر** ﴾ [المائدة ٢٧] .

وبدل أن يعود العاصى إلى الحق ويتساءل لماذا رفض الله قربانه وتقبل من أخيه ؟ أخذه الشر وهدد أخاه بالقتل ، ولم يبادله الأخ التقى عداوة بعداوة وإنما وجهه إلى الخير ، إن الله يتقبل من الأتقياء وكأنه يستثير كوامن التقوى فيه وحذره من أن يمد يده إليه بسوء ، وما كان (هابيل) قد عرف القتل وأخبره أنه لن يبادله أذى بأذى وإنما سيصبر وسيتحمل

المنحرف التبعة ﴿ **قال لأقتلنك قال إنما يتقبل الله من المتقين * لئن بسطت إلى يدك لتقتلنى ما أنا بباسط يدى إليك لأقتلك إنى أخاف الله رب العالمين * إنى أريد أن تبوء بإثمى** – تتحمل إثمى – **وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين** ﴾ [المائدة ٢٧ – ٢٩] .

يقول عليه الصلاة والسلام (ماقتلت نفس ظلماً إلا كان على ابن آدم الأول – قابيل – كفل (نصيب) من دمها لأنه كان أول من سن القتل) . ظل الشيطان يوسوس لقابيل حتى أقدم على القتل بعد طول تردد ، وكل الكبائر تأتى سهلة (كالزنا وشرب الخمر) إلا القتل فلا يأتيه الإنسان إلا بصعوبة ﴿ **فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين** ﴾ [المائدة ٣٠] .

(كما يطوع الحديد إذا دخل النار وضعفت مقاومته فتشكله كما تريد ، لقد خسر (قابيل)نفسه وأخاه وأسرته ودينه والدنيا والآخرة ﴿ **وذلك هو الخسران المبين** ﴾ [الزمر ١٥] .

وسكنت حركة (هابيل) وناداه (قابيل) فلم يرد عليه ، يحركه فلا يتحرك ، واحتار ماذا يصنع به (كانت أول حالة موت) وأراد المولى أن يذل (قابيل) وأن يستر عورة هابيل فأرسل غراباً نقر فى الأرض – فألهم قابيل بعملية الدفن ، وقيل (قتل غراب غراباً ثم حفر ودفنه) فاستفاد قابيل فأسرع إلى مواراة جثة أخيه ، ﴿ **فبعث الله غراباً يبحث فى الأرض ليريه كيف يوارى سوءة أخيه قال ياويلتى أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأوارى سوءة أخى فأصبح من النادمين** ﴾ [المائدة ٣١] .

فالغراب كان المعلم الأول للإنسان علمه (كيف يدفن الميت) وكم تعلم الإنسان من الكائنات ! (تعلم من الطيور عملية الطيران) وأول محاولة

ـيران قام بها عربى (عباس بن فرناس ، لـكنه قتـل وتوالـت التجارب حتى توصـلت للطائرة) (وتعـلم الإنسـان من الخفـاش - الوطواط) فاخـترع (الرادار) لأن الخفـاش وسط الظلمة لا يصطدم بأجسام يخرج من جسمه شعاع يهديه .

القتل جريمة بشعة : وقد وضعه الله مـع الزنا والشرك فى آية واحـدة ﴿ **والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما** ﴾ [الفرقان ٦٨] .

ومن قتل نفسا ظلماً فكأنما قتل البشرية جمعاء وقد سجل الله ذلك فى التوراة لكن اليهود لم يعملوا بها ﴿ **من أجـل ذلك كتبنا عـلى بنى إسرائيـل** - فى التـوراة - **أنه من قتـل نفساً بغير نفس أو فساد فى الأرض فـكأنما قتـل النـاس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا النـاس جميعـاً** ﴾ [المائدة ٣٢] .

وندد الله بمن يقتـل مؤمناً ظلماً ﴿ **ومن يقتـل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خـالداً فيـهـا وغـضـب الله عليـه ولعنـه وأعـد لـه عـذاباً عظيماً** ﴾ [النساء ٩٣] .

* * *

قائد اختارته السماء والإسرائيليون جبناء

إن اليهود طوال تاريخهم الأسود كانوا مثالا للجبن والخسة والفسوق وعصيان أوامر الله . وقد انتقم الله منهم وسلط عليهم جباراً هو (جالوت) سلبهم التابوت المقدس وأخذ بعض نسائهم وأولادهم رهائن (وطردهم من فلسطين) ومرت سنوات وهم يعيشون فى مذلة وحسرة فلجأوا إلى نبى لهم (وكان بنو إسرائيل لايعيشون بدون نبى)وطلبوا منه أن يختار لهم قائدا عسكرياً يقودهم لتخليص نسائهم وأولادهم ، وكان النبى يعلم أنهم جبناء متحمسون وقتياً ، وأنه إذا كتب عليهم القتال فرت الأكثرية ، وعجبوا لقوله كيف (وأولادنا ونساؤنا) فى الأسر ؟ فلما أذن الله بالقتال جبنوا ولم يستجب إلا القليل﴿ **ألم تر إلى الملإمن بنى إسرائيل من بعد موسى إذ قالوا لنبى لهم ابعث لنا ملكاً نقاتل فى سبيل الله قال هل عسيتم إن كتب عليكم القتال ألا تقاتلوا قالوا وما لنا ألا نقاتل فى سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا فلما كتب عليهم القتال تولوا إلا قليلا منهم والله عليم بالظالمين** ﴾[البقرة ٢٤٦] .

اختيار طالوت : اختار الله لهم طالوت وكان فقيراً من أسرة بسيطة لكن تتوافر فيه صفات القائد العسكرى (العلم والقوة الجسدية والإيمان الخالص)لكنهم رفضوه وطلبوا قائداً غنياً من أكرمهم ، وماذا يفيد الغنى فى الحرب ! ؟ ﴿ **وقال لهم نبيهم إن الله قد بعث لكم طالوت ملكاً قالوا أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال قال إن الله اصطفاه** – اختاره – **عليكم وزاده بسطة فى العلم والجسم** – عالم قوى البدن محارب كفء – **والله يؤتى ملكه من يشاء والله واسع عليم** ﴾[البقرة ٢٤٧] .

رفضوا فأخبرهم نبيهم أن الله سيسوق علامة تؤكد قيادة طالوت وهى أن (الملائكة ستأتى بالتابوت المقدس وتنتزعه من قصر الطاغية ويتهادى بين السماء والأرض حتى يهبط بين يدى طالوت) (والتابوت المقدس) كان به (آثار من آل موسى وآل هارون) قيل التوراة التى نزلت من السماء على موسى (وقيل بعض متاع موسى وهارون) ﴿ **وقال لهم نبيهم إن آية ملكه** - علامة ملكه - **أن يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون تحمله الملائكة إن فى ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين** ﴾ [البقرة ٢٤٨] .

ارتضوا بطالوت قائداً ولما تحرك تخلف جماعة منهم (فكان الفرز الثاني) ومضى بهم طالوت وأخذ فى تدريبهم حتى أرهقهم وعانوا من العطش فمر بهم على (نهر الأردن) وطلب منهم أن يأخذ الواحد رشفة يطفئ بها عطشه ، أما الذين سيشربون وتمتلئ بطونهم فهم لا يصلحون للقتال وليسوا أهلا للتحمل ، فشربت الأكثرية وبقيت قلة ، فمضى بهم (فكان الفرز الثالث) ﴿ **فلما فصل طالوت بالجنود قال إن الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس منى ومن لم يطعمه فإنه منى إلا من اغترف غرفة بيده** - أخذ قليلا من الماء - **فشربوا منه إلا قليلا منهم** ﴾ [البقرة ٢٤٩] .

ومضى طالوت بالبقية وواجه (جالوت) بقوته وعدته فلما رآه الإسرائيليون جبنوا وفر جماعة منهم وبقيت قلة قليلة مع طالوت كانوا (كأصحاب النبى يوم بدر) (فكان هذا هو الفرز الرابع والأخير) وثبت القلة ﴿ **فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه قالوا لاطاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده قال الذين يظنون أنهم ملاقو الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين** ﴾ [البقرة ٢٤٩] .

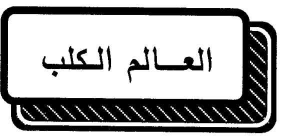
ظهور داود : لما واجهوا (جالوت) وكان يرفل فى حلة من حديد كالعملاق سألوا الله المغفرة والثبات والنصر على الأعداء ﴿ **ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا ربنا أفرغ علينا صبراً وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين** ﴾ [البقرة ٢٥٠] .

والنصر لا يأتى بالكثرة ، بل بالإيمان والصبر . ولقد انهزم المسلمون يوم حنين رغم أنهم كانوا ثلاثة أضعاف عدوهم ﴿ **لقد نصركم الله فى مواطن كثيرة ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين * ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين** ﴾ [التوبة ٢٥ - ٢٦] .

تقدم (داود) وكان صبياً وطلب منازلة (جالوت) فاستهزأ به وحرك (داود) المقلاع ورماه بحجر فدخل من أذنه اليمنى وخرج من اليسرى فخر كالنخلة التى قطعت من جذورها فانهزم جنوده ، وهنا أقبل الإسرائيليون على داود يحملونه فوق الأعناق وتنازل له طالوت عن القيادة فقاد الجيش حتى دخل الأرض المقدسة فلسطين (وأسس أول دولة إسرائيلية) وآتاه الله الملك والرسالة ، وصار مهيباً فى بنى إسرائيل ﴿ **فهزموهم بإذن الله وقتل داود جالوت وآتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء** ﴾ [البقرة ٢٥١] .

وداود كان مهيباً يخاف منه الإسرائيليون وكانت كلمته نافذة فيهم ﴿ **واذكر عبدنا داود ذا الأيد إنه أواب * إنا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشى والإشراق * والطير محشورة كلٌ له أواب * وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب** ﴾ [ص ١٧ - ٢٠] .

* * *



العالم الكلب

الله يمتن على بعض عباده بالإيمان الخالص والعلم النافع لكى يشيعه فى الناس بعد أن يعمل به ، لكن هذا العالم يتملكه الشيطان ويأخذه الغرور ، فيخرج على منهج الحق ، ويؤول النصوص على غير وجهها ، ويفسرها بهواه ، ويتاجر فيها ، ظنا منه أنه لا يصح أن يخضع حتى لله ، فينسلخ من هذا العلم كما تنسلخ الذبيحة من جلدها . كأن العلم جلده متلبسا بلحم وانتزاعه صعب ، فيتجرد من الغطاء الواقى وينصرف عن الهدى ويهبط من سماء العلم إلى حقارة الطين كالديدان ، ويصبح ألعوبة فى يد الشيطان يحركه كالدمى : هذا الإنسان أصبح لا صقاً بالطين ثم يتحول إلى مسخ فى (هيئة الكلب) يخرج لسانه سواء كان راقداً أو مطروداً (والكلب بطبعه يخرج لسانه ويلهث ، لأن جهازه التنفسى عنده ضيق) ولهذا اعتبر لعاب الكلب قاتلا لأنه ملىء بالميكروبات والجراثيم ، والرسول ﷺ يقول (إذا ولغ الكلب فى إناء أحدكم فليغسله سبع مرات إحداهن بالتراب) لأن التراب يقتل الميكروبات ، فالعالم الذى اتبع هواه كمن كذب بآيات الله فساء مثلا ﴿ **واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين * ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون** ﴾ [الأعراف ١٧٥ - ١٧٦] .

وقيل إن عالماً كبيراً من علماء بنى إسرائيل يدعى (بلعام) اغتر بعلمه وركب رأسه واتبع هواه وحرف كلام الله وتاجر فى الدين ، وكان من ينظر إليه (كمن ينظر إلى كلب أبيض) قبيح المنظر ، فهذه الصورة الزرية التى اختارها لكل عالم فاسد لم يعمل بعلمه واتبع هواه واغتر فوقع فى حبائل الشيطان وبعد أن كان مصدر هداية صار مصدر غواية .

أصحاب الأخدود

كان باليمن ملك جبار يدعى (ذو نواس) أغراه (حبران من اليهود) بالدخول فى (اليهودية) وخلعا عليه الهدايا والهبات (فلما اعتنق اليهودية وترك المسيحية) أغرياه بأن يجبر شعبه على الدخول فى الدين الجديد لكن الشعب تمسك بالمسيحية ، فأغرياه بأن يستخدم القوة وسولوا له (حفر أخاديد) عميقة تمتلئ بالنار يقذف فيها كل من يتمسك بالمسيحية ، وإذا بالشعب كله يقبل على (الحرق بالنار) ولا يتنازل عن عقيدته .

وكان الملك يجلس هو والحاشية وأمامهم الطعام والشراب يتلذذون بمنظر الأجسام وهى تتفحم . كما كان يفعل الرومان قديماً حينما كانوا يلقون بالمسيحيين للأسود والنمور الجائعة فتلتهمهم أمام الجماهير الصاخبة وما ذنب هؤلاء المؤمنين إلا التمسك بعقيدتهم ﴿ **قتل أصحاب الأخدود * النار ذات الوقود * إذ هم عليها قعود * وهم على مايفعلون بالمؤمنين شهود * وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد** ﴾ [البروج ٤ - ٨] .

الانتقام من ذى نواس : علم (النجاشى ملك الحبشة) بمأساة ضحايا الأخدود وكان يعتبر حامى المسيحية ، فأرسل جيشاً جراراً ومعه الفيلة الضخمة وعلى رأس الجيش قائدان عظيمان (أحدهما يدعى أبرهة والثاني أرياط) فهزموا (ذا نواس) وقيل إنه أنه مات غريقاً وقيل إنهم قبضوا عليه وأحرقوه بالنار جزاء مافعل ، وسيحرق بنار أشد يوم القيامة ﴿ **إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق** ﴾ [البروج ١٠] .

هـلاك أبرهـة : تنـازع كل من (أبرهـة وأرياط) على حـكم اليمن فضرب (أرياط) أبرهة بالسيف على أنفه فشقه فأطلق عليه (أبرهة الأشرم) لكن أبرهة قتل أرياط وانفرد بحكم اليمن ولما علم (النجاشى) أقسم ليقتلن (أبرهة) وكان (أبرهة) ماكراً فتوسل إلى (النجاشى) وأغراه بعمـل دينى كبير هو بنـاء (كنيسة) راقيـة يحج إليها العرب بدل (الكعبة) ويرسل الهدايا والنذور للنجاشى .

وبنى أبرهة كنيسة راقية أطلق عليها (القلّيس) ودعا العرب لحجها ، فلم يأت أحد ، وظلوا يحجون للكعبة ، فأقسم أبرهة ليهدمن الكعبة (وسار بجيش جرار ومعه فيل ضخم) حتى وصل إلى مشارف مكة .

وكان (عبد المطلب) جد النبى هو سيد مكة فأراد أهلها المقاومة فمنعهم ونصحهم بالخروج إلى أعلى الجبال فلما سألوه عن البيت وكيف يتركونه لأبرهة قال (إن للبيت ربًا يحميه) .

وأرسل الله على جيش أبرهة أسراباً من طيور صغيرة كل طائر يحمل فى منقاره حجراً من جهنم وألقيت الحمولة ، فتحول الفرسان والخيل إلى عجينة فى لحظات ، ونجا البيت وصدق عبد المطلب ﴿ **ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل * ألم يجعل كيدهم فى تضليل * وأرسل عليهم طيراً أبابيـل** - جماعات - **ترميهم بحجارة من سجيل** - من جهنم - **فجعلهم كعصف مأكول** ﴾ [الفيل ١ - ٥] .

مثل العلف الذى تلتهمه البقرة ثم تقوم (بعملية الاجترار) وهكذا أهلك الله من أراد البيت الحرام بأذى والله يقول ﴿ **ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم** ﴾ [الحج ٢٥] .

* * *

جـــار الســوء

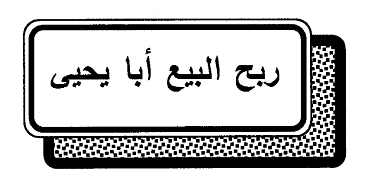
كان النبى ﷺ يقيم بين (أسـوإ جارين) .

الجـــار الأول : هــو عمه (أبو لهب) وكان هــو وزوجته يعـملان على إيذاء النبى وتحمل (أم جميل) الشوك وتضعه على عتبة رسـول الله (حتى إذا خرج لصلاة الفجر آذاه الشوك) كما كانا يتجسسان على بيت رسول الله ويخبران قريشاً بمن يزور النبى ، والله ذمهما وتوعدهما بنار حاميـة ﴿ **تبت يدا أبى لهب وتب * ما أغنى عنه ماله وما كسب * سيصلى ناراً ذات لهب * وامرأته حمالة الحطب** * – الشوك – **فى جيدها** – فى عنقها – **حبل من مسد** – من جهنم ﴾ [المسد ١ – ٥] .

الجار الثـانى : هو (عقبة بن أبى معيط) وكان يذبح الشاة ويضع دمها وأوساخها على عتبة رسول الله أو يضعها على ظهره الشريف وهو ساجد عند الكعبة حتى تأتى (فاطمة الزهراء – رضى الله عنها) فتدفعه عنه ، أو يأتى بثوب ويخنق النبى وهو ساجد حتى تجحظ عيناه ، وذات يوم أقام (عقبة بن أبى معيط) مأدبة ودعا إليها سادة مكة وعز عليه ألا يدعو محمداً وهو جاره فدعاه فاشترط النبى عليه أن ينطق (بالشهادتين) فنطق بهما وحضر النبى المـأدبة ودخل (أبى بن خلف) وكان من أشـد أعـداء النبى فلما رآه قـال (لعقبـة) ما الذى أتى بهذا الرجل إلى دارك ! ؟ فقال (عقبة) (استحييت منـه وهو جارى) ، فقال (بلغنى أنك صبأت) ، أى دخلت فى دين محمد . قال (عقبة) (لا ولكنى نطقت بالشهادتين

ليشهد مأدبتى) فقـال (أبى بن خلف) لعقبـة (وجهى لوجهك حرام – كناية عن الخصام – إلا أتيت محمداً فبصقت فى وجهه ولطمته على خده وطردته من دارك) وفعلهـا اللعين وخرج النبى حزينا والدمـوع فى عينيه فتوعـد الله (عقبة بن أبى معيط) وندد بصـداقة (أبى بن خـلف) (والاثنان قتلا يوم بدر) ولم يعف النبى عن (عقبة) وضرب عنقه ﴿ **ويوم يعض الظالم على يديه يقول ياليتنى اتخذت مع الرسول سبيلا * ياويلتى ليتنى لم أتخذ فلاناً خليلا * لقد أضلنى عن الذكر بعد إذ جاءنى وكان الشيطان للإنسان خذولا** ﴾ . [الفرقان ٢٧ – ٢٩] .

* * *



كان (صهيب بن سنان) من أصحاب رسول الله السابقين إلى الإسلام ورغم أنه كان من الروم وليست له قبيلة تحميه إلا أنه آثر الإسلام . كان يعمل حداداً كما كان ماهراً فى (الرمى بالسهام) (والمبارزة بالسيف) وجمع مالاً كثيراً من عمله ، وكان النبى يجلس عنده ، فيدعى سادة قريش أنه تلقى القرآن من (صهيب) – وكيف لصهيب بمثل هذا القرآن ولسانه فيه عجمة ! ؟ ﴿ **ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذى يلحدون إليه أعجمى وهذا لسان عربى مبين** ﴾ .

[النحل ١٠٣]

وقد ارتبط صهيب بالنبى يتلقى عنه القرآن ويدرس عنه الإسلام ويقوم بتعليم الآخرين وكان نشطاً قوياً وأحبه النبى كما أحب (سلمان الفارسى وبلالا الحبشى) فكان يقول (بلال منا آل البيت) (سلمان منا آل البيت) (صهيب منا آل البيت) .كان النبى يقدر هؤلاء الثلاثة ويعتبرهم طلائع لأجناسهم فيقول (صهيب سابق الروم) (وسلمان سابق الفرس) (وبلال سابق الحبشة) .

صهيب والهجرة : لما أذن الله بالهجرة وبايع النبى الأنصار فى (بيعة العقبة) ومهد المدينة لاستقبال المهاجرين قال لأصحابه (إن الله قد جعل لكم إخوانا ودارا تأمنون بها فاخرجوا على بركة الله) .

وخرج المسلمون ليلا وكانت عيون السادة ترصدهم فلما علموا أن (صهيباً)سيخرج اعترضوا طريقه وقالوا له (لقد جئتنا صعلوكاً

فأغنيت ، أتريد أن تخرج بمالك لمحمد ؟ لا واللات والعزى) . فقال لهم (صهيب) : (لقد علمتم أننى من أرماكم وأضربكم بالسيف) كناية عن الرمى بالسهام والمبارزة بالسيف) ثم قال لهم (لن تصلوا إلى حتى أطلق آخر سهم ثم أضرب بسيفى حتى يتكسر ، ولكنى أدلكم على ما هو خير من هذا ، قد خبأت مالى فى مكان كذا فخذوه ودعونى) وكانوا لا يعهدون عليه كذبا فتركوه فخرج إلى المدينة وحده وقد ترك ثروته التى جمعها بجهده .

فلما وصل إلى المدينة قال النبى (ربح البيع أبا يحيى) أى أنك حققت البيعة التى ذكرها الله فى التوراة والإنجيل والقرآن ﴿ **إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليهم حقًا فى التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم** ﴾ [التوبة ١١١] .

وكان (صهيب) رجلا مرحاً يحب المزاح ولا ينطق إلا بالحق . مر النبى عليه (وفى إحدى عينيه رمد) وهو يأكل كسرةخبز فقال النبى مازحاً (أتأكل خبزاً وفى عينك رمد) ؟ فقال صهيب (إنى آكل بالعين الأخرى) . وكان النبى أحيانا يجعله على المدينة يصلى بالناس ويحكم بينهم حتى يعود النبى ، تكريماً له وإعلاناً أن الإسلام لا يتعصب لجنس .

* * *

عزير : البعث المجسد

يقال إن (عـزيراً) كان ابن رجل صالح حفظ التـوراة وهـو صغير ، (وكان الإسرائيليون) يقدسون من يحفظ التوراة حتى أطلقوا عليه ابن الله ﴿ **وقالت اليهود عزير ابن الله** ﴾ [التوبة ٣٠] .

ويقال إن (عزيراً) خرج من مدينتـه في اتجـاه مدينـة أخرى لغرض ما ، فمر في طريقه على (القدس) وكانت قد خربت تماماً ولم تعد فيها حياة ، ورأى أن يأوى إلى الظل ويأخذ سنة من النوم ، ثم يواصل الطريق ، وأعد تيناً ليصنع شراباً وأعد الخبز ، وبينما هو يأكل فكر في المدينـة ودار بخلده سـؤال : (هل يمكن أن تعود هذه المدينة كما كانت ؟)وأراد الله أن يطلعه على آية وأن يريه البعث المجسد مجسماً فيه هو ، فسلط عليـه المـوت ، ومرت مائة سنة ، ثم أحيـاه (ولم يتغير جسمه)(ولاملابسـه) (ولا شبابه) وظن أنه كان نائماً واستيقظ .

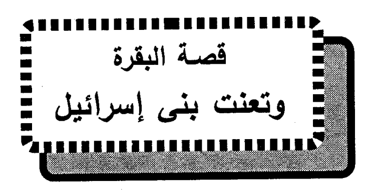
وساق الله له ملكاً في هيئـة رجل فسأله أتدرى كم لبثت راقـداً ؟ فقال (يوماً أو بعض يوم) ، فقال له الرجل (بل لبثت مائة عام) وكنت ميتاً فأحياك الله ؛ وكأنه استبعد ذلك وطلب دليلا على هذا .

فسأله الرجل (أين حمارك)؟ فقال (لعله فك قيده وجمح) فأشار إلى كومة من العظام وقال (هذه هى حمارك) واستبعد هذا والذى جعله يتشكك أن (الطعام والشراب) ظل كما هو . وأصدر الله الأمر إلى العظام فنهضت وتشابكت وكونت الهيكل العظمى للحمار ثم كساه لحماً أمام

عينيه ، وأكد له أن الله قادر على أن يبعث الحياة من جديد لهذه المدينـة .
﴿ **أوكالذى مرعلى قرية وهى خاوية على عروشها** – خالية من السكان – **قال أنى يحيى هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوماً أو بعض يوم قال بل لبثت مائة عام فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه** – لم يتغير – **وانظر إلى حمارك ولنجعلك آية للناس وانظر إلى العظام كيف ننشزها** – نرفعها – **ثم نكسوها لحماً فلما تبين له قال أعلم أن الله على كل شيء قدير** ﴾ [البقرة ٢٥٩] .

وعاد (عزير) إلى مدينته فوجدها قد تغيرت ، وسأل عن دار عزير فرأى رجلا مسناً فقال له (ألا تعرفنى ؟ أنا عزير) . فسخر منه وقال (إننى حفيـد عزير) . وها أنا بلغت من الكبرعتيا . فأكد له أنه عزير لكنه لم يقتنع . ثم سأل عن أحد من الأحياء رأى عزيراً فدلوه على امرأة كبيرة السن قد فقدت بصرها وقال لها (أنا عزيز) فنهرته فأخـذ يسوق لها عـلامات لكنها قالت(إن كنت عزيراً فإن عزيراً كان مستجاب الدعوة فادع الله أن يرد إلى بصرى وشبابى كما كنت فى عهد عزير . فدعا الله فاستجاب ، فلما رأته قالت (والله إنه عزير) وتجمع الناس ، وأصبح عزير فى نظرهم أعلى مرتبة من القديسين إلى أن ألهوه فسأل الله أن يقبضه إليه حتى لايفتن به الناس فمات (فعبدوا قبره) والله قال : ﴿ **وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصـارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبـل قاتلهم الله أنى يؤفكون * اتخـذوا أحبـارهم ورهبـانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا ليعبـدوا إلهاً واحـداً** ﴾ [التوبة ٣٠ – ٣١] .

* * *



عرف اليهود بالمماطلة والتلكؤ وخاصة فيما يتعلق بأوامر الله فما بالك بأمور البشر ؟ (ولهذا لا نستغرب إذا هم كادوا وتآمروا ونقضوا المواثيق وأبطلوا الاتفاقيات الدولية) .

لقد أمر الله بنى إسرائيل أن يذبحوا بقرة (أى بقرة) فقابلوا الأمر من موسى بالسخرية وظنوا أنه يهزل (وكيف يقول الرب اذبحوا بقرة وماذا يستفيد منها ؟) وعجب موسى أيمكن أن أسخر من أوامر الله ؟ واستعاذ بالله أن يكون جاهلا (أى ضعيفاً فى تنفيذ أمر الله) ﴿ **وإذ قال موسى لقومه إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة قالوا أتتخذنا هزواً قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين** ﴾ [البقرة ٦٧] .

فطلبوا تعريفهم بماهية البقرة (والطفل الصغير يعرف البقرة) فهى قاسم مشترك فى كل الشعوب وطلب موسى من ربه فحددها (لا هى بالصغيرة ولا هى بالكبيرة) وخير الأمور الوسط ﴿ **قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ماهى قال إنه يقول إنها بقوة لافارض** – مسنة – **ولا بكر عوان** – أى وسط – **بين ذلك فافعلوا ما تؤمرون** ﴾ [البقرة ٦٨] .

وكان من اللائق أن يسارعوا بذبحها لكنهم تعنتوا وسألوا عن لونها (وهل البقرمئات الألوان كالزهور والحشرات) إنها تنحصر فى بضعة ألوان فسأل الله فضيق عليهم الخناق وجعلها (صفراء بلون الذهب الذى يعبدونه متعة للناظرين) ﴿ **قالوا ادع لنا ربك يبين لنا مالونها قال إنه يقول إنها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين** ﴾ [لبقرة ٦٩] .

فعادوا إلى سيرتهم الأولى وطالبوا بتحديد ماهية البقرة وتحججوا بأن البقر تشابه عليهم وأكدوا هذه المرة أنهم سيذبحونها .

﴿ **قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ماهى إن البقر تشابه علينا وإنا إن شاء الله لمهتدون** ﴾ [البقرة ٧٠] .

فضيق الله عليهم (بعد أن كانت بقرة عادية دون مواصفات) أصبحت (بقرة وسطا فى العمر صفراء) ثم ضيق الله عليهم فهى بقرة لم تذلل فى أعمال الحرث وجر الساقية وليس فيها خدش ولاعيب مبرأة من كل العيوب ، وبحثوا عنها فلم يجدوها إلا عند رجل جشع ولما علم بتورطهم غالى فى ثمنها حتى أرهقهم واضطروا أن يشتروها ليوفوا بعهد الله . وهناك رواية أخرى تقول : إن هذه البقرة كانت عند يتيم ، وأن الله أرسل مَلَكاً يساوم عليها فكلما زاد الناس فى ثمنها زاد الملك حتى بيعت بأغلى ثمن . [فلم يكن صاحبها رجلاً جشعاً وإنما هى إرادة الله فى إرهاق بنى إسرائيل جزاء تعنتهم] . ﴿ **قال إنه يقول إنها بقرة لاذلول تثير الأرض ولا تسقى الحرث مسلمة لاشية فيها قالوا الآن جئت بالحق فذبحوها وما كادوا يفعلون** ﴾ [البقرة ٧١] .

فاليهود لا يأتون بالتهاون وإنما بالشدة ولهذا شدد الله فى شريعتهم لطباعهم النجسة وأخلاقهم الخسيسة ﴿ **فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيراً * وأخذهم الربا وقد نهوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل** ﴾ [النساء ١٦٠ - ١٦١] .

لماذا ذبحت البقرة ؟ : كان قد سقط قتيل والأكثرية تعرف القاتل لكنهم خافوا من سطوته وتبرءوا من التهمة فأراد الله أن يوقظ الضمائر النائمة ويحرك القلوب الميتة فأمر بذبح البقرة وأمر موسى أن يأخذ عضوا منها

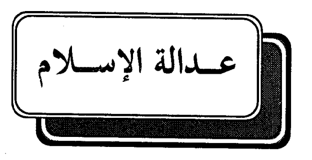
(قيل الذيل) فيضرب بها القتيل فيحيا وينطق باسم القاتل ثم يموت فيقام عليه الحد ﴿ **وإذ قتلتم نفساً فادارأتم فيها** [1] **والله مخرج ما كنتم تكتمون فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيى الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون** ﴾ [البقرة ٧٢ - ٧٣] .

ووصف الله قلوبهم بالقسوة وأنها أشد من الحجارة ، فالحجارة تخرج منها منابع الأنهار ، ومن الحجارة تتفجر العيون ، والأحجار تهبط من خشية الله . ﴿ **ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهى كالحجارة أو أشد قسوة وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وإن منها لما يَشّقّقُ فيخرج منه الماء وإن منها لما يهبط من خشية الله وما الله بغافل عما تعملون** ﴾ [البقرة ٧٤] .

* * *

---

(١) كل واحد يبعد التهمة عن نفسه .



عدالة الإسلام

الإسلام دين السماحة والرحمة والعدالة ، ويأمر بالحكم بين الناس بالحق ، بغض النظر عن الجنس أو الدين ، فالحكم بين الناس بالعدل يعد من أهم مبادئ الإسلام : ﴿ **إن الله يأمركـم أن تؤدوا الأمانات إلى أهـلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل إن الله نعما يعظكم به إن الله كان سميعا بصيراً** ﴾ [النساء ٥٨] .

العدل حتى مع الخصوم والأعداء فلا يمنع القاضى أن يحكم بالعدل خصومة أو انحياز لأقاربه ﴿ **يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله** ﴾ [المائدة ٨] .

وضمن الوصايا العشر ﴿ **وإذا قلتم فاعدلوا ولوكان ذا قربى** ﴾ .

[الأنعام ١٥٢]

ولقد حدث فى عهد النبى ﷺ أن سرق مسلم يسمى (طعمة) درعا ولما خاف افتضاح أمره وستقطع يده رمى بها إلى بيت جاره اليهودى فلما وجدت عنده أنكر ذلك وقال(إن طعمة ألقى بها تخلصا منها) وأنكر طعمة وآزره قومه وظاهروه وقالوا (يارسول الله أتصدق يهوديًا وتكذب مسلماً ؟ إن هذا سيطمع فينا اليهود) . وتأثر النبى بقولهم وكاد يميل إلى اتهام اليهودى لكن (عدالة السماء) لا تغيب ، وعين الله لا تغفل ، فقد نزل قرآن يؤدب المسلمين جميعاً ، ويؤصل مبادئ العدل ، وأخبر الله نبيه أنه أنزل القرآن لهداية البشر ولتسود العدالة ، وحذره من أن

يـؤازر الخـــائنين أو أن يتعاطف مــع اللصــوص وأن يستغفر الله عما دار فى خــلده وإن كان لم يصرح به : ﴿ **إنا أنزلنا إليك الـكتاب بالحـق لتحـكم بين النــاس بما أراك الله ولا تكن للخـــائنين خصيما * واستغفر الله إن الله كان غفــوراً رحيما** ﴾ [النساء ١٠٥ - ١٠٦] .

ونهاه أن يدافع عن الخونة الذين خانوا أمانة الله وخانوا أنفسهم وتسببوا فى إحراج النبى ﴿ **ولا تجادل عن الذين يختــانون أنفسـهم إن الله لا يحــب من كان خــواناً أثيماً** ﴾ [النساء ١٠٧] .

إذا استخفوا من النــاس هــل يستخفون من الله الذى يعــلم السر وأخفى !؟ ﴿ **يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم إذ يبيتون مالايرضى من القول وكان الله بما يعملون محيطاً** ﴾ [النساء ١٠٨].

ويؤدب الله رسوله وجماعة المؤمنين ومن أيدوا (طعمة) فى معصيته فيقول لهم : إذا دافعتم عنهم فى الدنيا فمن يدافع عنهم يوم القيامة (يوم يقـوم الـــناس لرب العــالمين) ؟ ﴿ **ها أنتم هــؤلاء جــادلتم عنهم فى الحيــاة الدنيــا فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة أم من يكون عليهم وكيلا** ﴾ [النساء ١٠٩] .

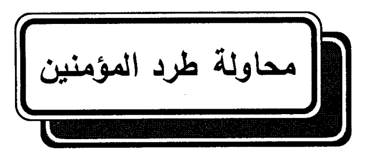
ويحذر المولى من رمى التبعات على الناس بالباطل واتهامهم بغير حق ، ومن فعل ذلك فإن إثمه عظيم وجزاءه كبير ﴿ **ومن يكسب خطيئة أو إثماً ثم يرم به بريئاً فقد احتمل بهتاناً وإثماً مبيناً** ﴾ [النساء ١١٢] .

ويمن الله على نبيه بأنه أنقذه من ضلال الخائنين ولو وقع هو فى هذا الأمر لنالهم العقاب ، فأنت بطبعك يا محمد لا ترضى بالظلم ، وذكره الله بنعمة العلم وبفضله الكبير ﴿ **ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم أن يضلوك وما يضلون إلا أنفسهم وما يضرونك من شىء وأنزل**

الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك مالم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما ﴾ [النساء ١١٣] .

ومن هنا كان النبى يدقق فى مثل هذه القضايا ولا يسمح لأحد أن يتوسط أو يشفع للمتهم مهما كان قدره ، فالعدالة لابد أن تسود . ولهذا لما سرقت (امرأة من بنى مخزوم) وثبتت السرقة عليها وتقرر قطع يدها وسط (بنو مخزوم) (أسامة بن زيد) ليشفع لها عند رسول الله لكن النبى زجره وقال له (**يا أسامة أتشفع فى حد من حدود الله ! ؟ إنما أهلك من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق الضعيف أقاموا عليه الحد . وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها**) .

* * *



محاولة طرد المؤمنين

أقبل على الإسلام الأغنياء والضعفاء (الأغنياء) كانت تساندهم قبائلهم (والضعفاء)تعرضوا لكل ألوان العذاب من قريش (واستخدمت أسلحة فتاكة للقضاء على الدعوة وعلى أتباعها) (حمامات الدم ومعسكرات التعذيب) ولم يتنازل أحد عن دينه .

وقد أرادت أن تفرق بين النبى وبين أتباعه ، فجاءه سادة مكة وقالوا (يا محمد إنا وجهاء مكة وسادتها . ولا يصح أن يكون معنا هؤلاء الأراذل من العبيد والضعفاء والفقراء ، فاطردهم ونحن نحل مكانهم) ورفض النبى ذلك مستأنساً بموقف سيدنا نوح حين عرض عليه سادة قومه أن يطرد أتباعه فرفض وقال : ﴿ **وما أنا بطارد الذين آمنوا إنهم ملاقو ربهم ولكنى أراكم قوماً تجهلون * وياقوم من ينصرنى من الله إن طردتهم أفلا تذكرون** ﴾ .[هود ٢٩ - ٣٠] .

وأوصى الله نبيه أن يتمسك بهم وقال له : ﴿ **ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكون من الظالمين** ﴾ [الأنعام ٥٢] .

فقال له السادة (إنا ننصفك يا محمد ، لا تطردهم وإنما اجعل لنا يوماً ولهم يوماً ، ففى يومنا لا يشهدون مجلسنا ، وفى يومهم لا نشهد مجلسهم) وفكر النبى قليلا لكن الله عاجله وأمره أن يرفض هذا العرض وأن يتمسك بأصحابه الفقراء والعبيد فهم عنده أعظم من ملوك الأرض وحذره

أن يشيح بوجهه عنهم أو أن ينخدع بمظهر السادة وكلامهم المعسول فهم يريدون الإيقاع به ﴿ **واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا** ﴾ [الكهف ٢٨] .

ولهذا لما أشاح النبى بوجهه عن (عبد الله بن أم مكتوم) الأعمى الذى يريد التفقه فى الدين منعه مولاه وحذره أن يعود لمثلها وبين له أن (الأعمى) . جاء ليتزود بالدين ((أما الوجهاء) فهم يضيعون وقته ويقصدون اللهو معه ولن يدخلوا فى دينه ﴿ **عبس وتولى * أن جاءه الأعمى * وما يدريك لعله يزكى * أو يذكر فتنفعه الذكرى * أما من استغنى * فأنت له تصدى * وما عليك ألا يزكى * وأما من جاءك يسعى * وهو يخشى * فأنت عنه تلهى * كلا إنها تذكرة** ﴾ .
[عبس ١ – ١١]

فكان النبى إذا لقى الضعفاء والعبيد من أصحابه يقول لهم (مرحباً بالذين أوصاني بهم ربى) وعندما يلقي (عبد الله بن أم مكتوم)يقول : (مرحباً بالرجل الذى عاتبنى فيه ربى) وازداد تقديرا له ، فكان إذا خرج لغزوة خلفه على المدينة (يصلى بالناس ويحكم بينهم) .

* * *

امرأة عمياء
تتحدى جبابرة قريش

لقد شنت قريش حرباً ضارية على المسلمين (وخاصة الفقراء منهم) ولم تفرق فى ذلك بين رجل وامرأة .

وكانت هنـاك امرأة تسمى (زنيرة) ظـل المشركون يعـذبونها حتى فقـدت بصرهـا وكان (عمـر بن الخـطاب) يضربها بالسوط لساعـات ولا تتوجع ولا تشكو ولا تذرف دمعة واحدة كأنما تحجرت عيناها وكان يقول لهـا (ألا تبـكين !؟ ألا تتـوجعين !؟) ثم يتركها ويقـول (مـا تركتك إلا مللا)ويذهب فيأكل ويشرب ويستريح ثم يعود لمواصلة العذاب .

وكان المشركون يسخرون من الإسلام ويقولون (لو كان فى الإسلام خير ما سبقتنا إلـيه زنيرة) وفيها نزل ﴿ **وقال الـذين كفروا للذين آمنـوا لو كان خيراً ما سبقونا إليـه** ﴾ [الأحقاف ١١] .

ولما أذن الله بالهجرة تطوع أهل الخير واصطحبوا (زنيرة) معهم خلسة ليلا ووصلت إلى المدينة وانتظمت فى درس النبى وحرصت على حفظ القرآن والعبادة حتى وافاها الأجل واحتسبها الله عنده ﴿ **يا أيتها النفس المطمئنـة * ارجعى إلى ربك راضية مرضيـة * فادخـلى فى عبـادى * وادخلى جنتى** ﴾[الفجر ٢٧ - ٣٠] .

* * *

قصة الكعبة

كلمة (الكعبة) من (الكعوب) وهو العلو والارتفاع .

بنتها الملائكة بأمر من الله قال سبحانه : ﴿ **إن أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركاً وهدى للعالمين * فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمناً ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا** ﴾ [آل عمران ٩٦ - ٩٧] .

ويقال إن آدم عليه السلام حج إليها ولما كان (طوفان نوح) غيبت وظلت مختفية حتى أمر الله إبراهيم أن يأخذ (ولده الرضيع إسماعيل) وأمه (هاجر) إلى وادى مكة بجوار بيته الحرام ودعا إبراهيم ﴿ **ربنا إنى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون** ﴾ [إبراهيم ٣٧] .

ولما شب إسماعيل وصار قادراً على العمل أمر إبراهيم أن يرفع قواعد البيت ونهض إبراهيم وولده بهذا العمل الكبير ، وأتما العمل ونزل جبريل (بالحجر الأسود) فهو ليس من أحجار الأرض ووضعه إبراهيم كبدء للطواف حول الكعبة ، ثم أمر الله إبراهيم أن يهيِّئ المكان لاستقبال الحجيج (فكان إبراهيم أول خادم مسجد فى الإسلام) ﴿ **وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت أن لا تشرك بى شيئاً وطهر بيتى للطائفين والقائمين والركع السجود** ﴾ [الحجج ٢٦] .

ثم أمر الله إبراهيم أن يـؤذن فى النـاس بالحج وعجـب إبراهيم وقـال (يارب وهل يبلغهم صوتى ؟) فقال (نعم عليك الأذان وعلى البلاغ) ، فصعد إبراهيم فوق جبـل أبى قبيس وصـاح (أيها النـاس إن ربكم قد اتخذ بيتاً فحجوه) وتواضعت الجبـال فبلـغ الصوت كل مكان وأسمع الله من فى الأرحـام والأصـلاب وهـاهى الملايين تهـرع لأداء الحج ﴿ **وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجـالا** – مشاة على أرجلهم – **وعـلى كل ضامر** – بعير أرهـق من طول السفر – **يأتين من كل فـج عـميـق ليشـهدوا منافع لهم** ﴾ .[الحج ٢٧ – ٢٨] .

وحول الكعبة جرت أمور فقد أدخل العرب فى الحج شوائب ، وكانوا يطوفون بالبيت عرايا كما ولدتهم أمهاتهم رجالا ونساء ، وكانوا يصفقون ويصفرون كما يقول المولى ﴿ **وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية** ﴾ [الأنفال ٣٥] .

المكاء : الصفير والتصـدية التصفيق .

كـمـا أن قـريشـاً فـرَضت على الحجـاج ألا يطوفـوا بأثوابهـم وإنمـا خصصت أثواباً يطوفون بها ثم يلقونها وسميت (اللقا) وجلب (عمرو بن لحى) من خزاعة الأصنام فبلغت الأصنام وقت بعثة النبى ثلاثمائة وستين صنماً وظهرت (جماعة الحنفاء) وهم الذين رفضوا (عبادة الأصنام) ورضوا بدين إبراهيم ومنهم (ورقة بن نوفل) الذى طمأن النبى فى أول الدعوة كما شكلت جماعة عرفت (بحلف الفضول) كانت تساعد المظلوم وترد له حقه ، وكانت (قصائد العرب المشهورة) تكتب بماء الذهب وتعلق على أستار الكعبة وعرفت (بالمعلقات) مثل (معلقة امرئ القيس) (وعنترة العبسى) (والأعشى) (وزهير بن أبى سلمى)(وطرفة ابن العبد) ، ثم دهم الكعبة سيل وقامت العرب ببنائها واختلفت القبائل

فيمن يضع (الحجر الأسود) مكانه (وحكم فيهم رسول الله وحقن دماءهم) . ولما اشتدت قريش على رسول الله (علقت على الكعبة صحيفة ظالمة) اتفقت فيها القبائل على أن تقاطع النبى ومن يعاونه . وظلت ثلاث سنوات (إلى أن أكلتها الأرضة - حشرة تأكل الجلود والخشب) وانفض الحصار ولما استقل (عبد الله بن الزبير) بالحجاز فى عهد بنى أمية أرسل إليه (عبد الملك بن مروان) جيشاً يقوده (الحجاج بن يوسف الثقفى) فرمى الكعبة (بالمنجنيق) آلة ترمى الحجارة الضخمة وكرات اللهب فحرقت الكعبة وهدمتها ثم أعاد بناءها .

وهجمت جماعة دموية عرفت (بالقرامطة) على الحجاج فى موسم الحج (واقتلعت الحجر الأسود) وأخذته إلى بلادها لتبنى (كعبة خاصة بهم) ، لكن الله دحرهم وعاد (الحجر الأسود)مكانه .

ثم قامت مصر بكسوة الكعبة وبنت داراً للكسوة إلى أن رفضت (المملكة العربية السعودية) كسوة مصر وأنشأت دار الكسوة وهى تكسو الكعبة الآن .

والله دمر كل من أراد الكعبة بسوء (كما دمر جيش أبرهة الأشرم) وأنذر من يريد البيت بسوء ﴿ **ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم** ﴾ [الحج ٢٥] .

* * *

الحواريون والمائدة

كلمة (الحواريين)جمع مفرده (حوارى) وهـو تلميذ النبى ، وأطلقت الكلمة على (الزبير بن العوام) يقول عليه الصلاة والسلام (لكل نبى حوارىٌّ وحوارىٌّ الزبير بن العوام) .

كان الحواريون من أتباع عيسى ، وفى بادئ الأمر كان إيمانهم ضعيفاً وقد فاجأوا عيسى بطلب غريب (أن يدعو الله أن ينزل عليهم مائدة من السماء حافلة بكل ألوان الطعام) وعجب عيسى ودعاهم للتقوى ﴿ **وإذ أوحيت إلى الحواريين أن آمنوا بى وبرسولى** – عيسى ابن مريم – **قالوا آمنا واشهد بأننا مسلمون ، إذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء قال اتقوا الله إن كنتم مؤمنين** ﴾ [المائدة ١١٢] .

وواضح أنهم لم يتأدبوا بعد بأدب الإيمان فبدءوا بالطعام وانتهوا إلى عقيدة ﴿ **قالوا نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا ونعلم أن قد صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين** ﴾ [المائدة ١١٣] .

وأدبهم عيسى فبدأ بالعقيدة وانتهى إلى الرزق ودعا الله أن ينزلها عليهم وأن يتخذوها عيداً ﴿ **قال عيسى بن مريم اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيداً لأولنا وآخرنا وآية منك وارزقنا وأنت خير الرازقين** ﴾ [المائدة ١١٤] .

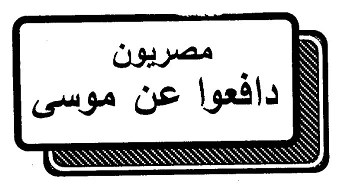
وأكد المولى أن المائدة ستنزل وسيأكلون منها ، فمن كفر منهم بعد

ذلك فسيكون عذابه شديداً ﴿ **قال الله إني منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فإني أعذبه عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين** ﴾ [المائدة ١١٥] .

ونزلت المائدة وأصبحت عيداً (ولم تذكر كلمة عيد فى القرآن إلا فى هذا الموضع) والحواريون أخلصوا الإيمان والتفوا حول عيسي وهم الذين نشروا العقيدة بعد رفعه إلى السماء ﴿ **فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصارى إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله واشهد بأنّا مسلمون** ﴾ [آل عمران ٥٢] .

وقد طلب الله من المسلمين أن يتأسوا بالحواريين وأن يناصروا النبى ويدافعوا عن العقيدة ﴿ **يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من أنصارى إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله** ﴾ [الصف ١٤] .

* * *



مصريون دافعوا عن موسى

(قصـة موسى عليـه السلام) هى أطـول قصـة فى القـرآن لنبى وقد شغلت مساحـات واسعة فى القـرآن وكل أحداثها وقعـت فى (مصر وسيناء) .

ويعتبر موسى وهارون مصريين بالمولد ، فقد ولدا فى مصر ورغم أن موسى جاء إلى بنى إسرائيل بالحرية والرسالة إلا أنهم آذوه وأهانوه ، ولم يقفوا معه بل ضاقوا به ذرعاً ﴿ **قالوا أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا قال عيسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم فى الأرض فينظر كيف تعملون** ﴾ [الأعراف ١٢٩] .

(المصريون هم الذين أيدوا موسى ضد فرعون)

أولا : **ملكة متوجة مصرية** : هى التى قامت بحماية موسى ومنعته من الذبح وتوسلت إلى زوجها (فرعون) أن يتركه واتخذته ولدا (إنها السيدة آسية) ﴿ **وقالت امرأة فرعون قرة عين لى ولك لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا** ﴾ [القصص ٩] .

وكانت بمثابة أمه الروحية ولما علم فرعون بإيمانها هددها إذا لم ترجع عن دينها فطلبت جوار ربها واستهانت بكل شىء وضحت بالتاج والسلطان فاحتسبها الله عنده وجعلها نموذجاً يحتذى فى الإيمان ﴿ **وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون إذ قالت رب ابن لى عندك بيتاً في الجنة ونجنى من فرعون وعمله ونجنى من القوم الظالمين** ﴾ [التحريم ١١] .

ورفعها النبى ضمن القمم النسائية (كمل من الرجال كثير وكمل من النساء أربع آسية امرأة فرعون ومريم ابنة عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد) .

ثانياً : **شقيق السيدة آسية** : الذى تولى رعاية موسى وكان بمثابة المعلم له لأن موسى كان يعتبر (ابن فرعون) فكان موسى بين ثلاثة حموه وغرسوا فيـه مكارم الأخـلاق وأبعـدوه عن مباذل القصر (أمـه الحقيقية) و (السيدة آسية) و (الرجل المؤمن الذى كان يكتم إيمانه وهو شقيق السيـدة آسية) . هـذا الرجـل هو الذى نصح موسى بالهرب لـما تآمرت عليه الحاشية ﴿ **وجاء رجل من أقصى المدينـة يسعى قال ياموسى إن المـلأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج إنى لك من الناصحين * فخرج منها خائفاً يترقب** ﴾ [القصص ٢٠ - ٢١] .

ولـما هزم موسى السحرة وأحس فرعـون بخطـورته أعـلن أنه سيقتـله ﴿ **وقال فرعون ذرونى أقتل موسى وليدع ربه إنى أخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر فى الأرض الفساد** ﴾ [غافر ٢٦] .

وقف هذا الرجل يدافع عنـه دفاعاً مجيداً بمنطق سديد وحجة بالغـة ﴿ **وقال رجل مؤمن من آل فرعـون يكتم إيمانه أتقتلون رجـلا أن يقول ربى الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم وإن يك كاذباً فعليـه كذبه وإن يك صـادقاً يصبكم بعض الذين يعـدكم إن الله لا يهـدى من هـو مسرف كذاب** ﴾ [غافر ٢٨] .

وأخذ يسوق لهم النصح ويذكرهم بالنعم التى هم فيها ويحذرهم من مصارع السابقين ويخوفهم بالآخرة ولـما خوفته الحاشية من بطش فرعون عجب وصاح صيحة الإيمان ﴿ **ويا قـوم مـالى أدعـوكم إلى النجـاة**

وتدعوننى إلى النار * تدعوننى لأكفر بالله وأشرك به ماليس لى به علم وأنا أدعوكم إلى العزيز الغفار ﴾ [غافر ٤١ - ٤٢] .

وأرادوا قتله لكن الله أنجاه وأهلكهم ﴿ **فوقاه الله سيآت ما مكروا وحاق بآل فرعون سوء العذاب** ﴾ [غافر ٤٥] .

ثالثاً : سحرة فرعون : كانوا خلاصة المصريين ومن أعظم السحرة والعلماء جاءوا طمعاً فى عطاء فرعون وقالوا له ﴿ **أئن لنا لأجرا إن كنا نحن الغالبين * قال نعم وانكم إذاً لمن المقربين** ﴾ [الشعراء ٤١ - ٤٢] .

ولكن موسى كسر شوكتهم وحذرهم إذا هزمهم ولم يؤمنوا أن ينزل العذاب عليهم فى هذه الساحة أمام الجماهير ﴿ **قال لهم موسى ويلكم لا تفتروا على الله كذبا فيسحتكم بعذاب وقد خاب من افترى** ﴾ [طه ٦١].

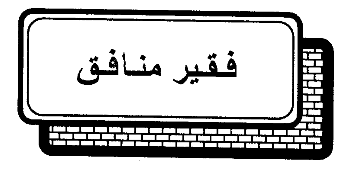
ولما ألقوا حبالهم وعصيهم قال لهم موسى ﴿ **ما جئتم به السحر إن الله سيبطله إن الله لا يصلح عمل المفسدين * ويحق الله الحق بكلماته ولو كره المجرمون** ﴾ [يونس ٨١ - ٨٢] .

ولما هزمهم موسى أعلنوا الإيمان ﴿ **قالوا آمنا برب هارون وموسى** ﴾ [طه ٧٠] .

وهددهم فرعون بأشد العذاب لكنهم استهانوا وفوضوا أمرهم إلى الله ﴿ **قالوا لن نؤثرك على ماجاءنا من البينات والذى فطرنا فاقض ما أنت قاض إنما تقضى هذه الحياة الدنيا * إنا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر والله خير وأبقى** ﴾ .

[طه ٧٢ - ٧٣]

* * *



فقير منافق

هذه قصة رجل كان فقيراً معدماً وكان يرى الأغنياء ينفقون من أموالهم فى سبيل الله فيمتلئ حقداً وحسداً وتمنى لو كان مثلهم دعا الله إن آتاه مالا ليصدقن وليكونا من الصالحين . كانت هذه الرغبة وهو فقير فلما اغتنى نقض العهد وغلبه الطمع وتولى معرضاً عن الوفاء بعهده فكان هذا النكث فى العهد والكذب على الله وعلى رسول الله سببا في تمكين النفاق من قلبه والرسول يقول (آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا ائتمن خان) وهى صفات ذميمة .

وروى أن الرجل هو (ثعلبة بن حاطب الأنصارى) قال لرسول الله ﷺ (ادع الله لى أن يرزقنى مالا) فقال الرسول (ويحك ياثعلبه ، قليل تؤدى شكره خير من كثير لا تطيقه) فكرر القول على رسول الله فقال النبى (أما ترضى أن تكون مثل نبى الله !؟ فوالذى نفيسى بيده لو شئت أن تسير الجبال معى ذهباً وفضة لسارت) . فقال ثعلبة (والذى بعثك بالحق لئن دعوت الله فرزقنى مالا لأعطين كل ذى حق حقه) . فقال النبى (اللهم ارزق ثعلبة مالاً) . فاتخذ غنماً فنمت كما ينمو الدود فضاقت بها المدينة فتنحى عنها فنزل وادياً من أوديتها حتى كان يصلى الظهر والعصر جماعة ويترك ماسواهما فنمت وكثرت فترك الصلوات كلها حتى الجمعة ، وسأل النبى عنه فأخبروه أن غنمه يسيل بها الوادى فقال (ويح ثعلبة ، ويح ثعلبة ، ويح ثعلبة) .

ونزلت ﴿ **خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها**﴾ [التوبة ١٠٣].

بعث النبى رجلين لجمع الزكاة وقال لهما (مرا على ثعلبة وفلان وفلان) . فلما علم ثعلبة قال (ما هذه إلا جزية) ثم قال (أنظرانى حتى تفرغا ثم عودا إلىّ . فلما رجعا إليه لم يقبل أن يدفع لهما شيئاً وقال (إنها جزية) . فعادا إلى رسول الله فلما رآهما قال (يا ويح ثعلبة) ولم يمض قليـل حتى نزلت ﴿ **ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحـين * فلما آتاهم من فضـله بخـلوا به وتولوا وهم معرضــون * فأعقبهم نفاقاً فى قلوبهم إلى يـوم يلقـونه بما أخـلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون * ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم ونجواهم وأن الله علام الغيوب** ﴾ [التوبة ٧٥ - ٧٨] .

وأسرع القوم يقرءون له هذه الآيات ، فأخذ الصدقة وذهب بها إلى رسول الله فرفضها ، فأخذ يحثو التراب على رأسه ثم جاء بها فى خلافة أبى بكر فقال أبو بكر (ما كنت لأقبل شيئاً رفضه رسـول الله) ، فـأتى بها إلى عمر فقال (ما كنت لأقبل شيئاً رفضه رسول الله وأبو بكر) ، وأتى عثمان فقال (مثل ذلك) ومات فى عهد عثمان منافقاً مذموماً إلى جهنم وبئس المصير .

* * *

غنى كافر ومؤمن فقير

إن الغنى قد يُطغى الإنسان فيكفر بالله ويفترى بماله ، ويظن أنه مخلد ومادرى أن الله هو الذى يعطى ويمنع ، وهذا نموذج لرجلين :

أحدهما : آتاه الله مالاً متعدداً كانت له حديقتان محفوفتان بالنخيل وفيهما كل أنواع الثمار والزرع وتعطيان محصولا وفيراً ويشق وسطهما نهر جار ﴿ **واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب وحففناهما بنخل وجعلنا بينهما زرعاً * كلتا الجنتين آتت أكلها ولم تظلم منه شيئاً وفجرنا خلالهما نهراً * وكان له ثمر** ﴾ [الكهف ٣٢ - ٣٤]

ومر بالفقير المؤمن وأخذ يجادله ويحاوره ويتكبر عليه ويعيره بفقره ومذلته ﴿ **فقال لصاحبه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا** ﴾ [الكهف ٣٤] .

وكان يحلو لهذا الغنى أن يمر فى جنتيه يتأمل الأشجار والثمار وتحدثه نفسه الأمارة بالسوء أن هذا ملك دائم وغنى لايزول ، ثم دفعه ذلك إلى إنكار البعث والقيامة ، وازداد تفاخراً فقال لو افترض وبعثت وجئت إلى ربى سأجد أعظم من هذا ، لأن الغنى فى الدنيا يجب أن يكون غنيّاً فى الآخرة . والفقير فى الدنيا معدم فى الآخرة وهذا ظلم بين ﴿ **ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ما أظن أن تبيد هذه أبدا * وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت إلى ربى لأجدن خيراً منها منقلبا** ﴾ [الكهف ٣٥ - ٣٦] .

ويرد عليه المؤمن الفقير ويرجعه إلى أصول شكر النعمة ، كان أولى أن يشكر الله الذى خلقه من تراب ثم حوله إلى بشر ، وكان أولى أن يردد كلمات الله بدل التفاخر بالغنى وتحقير الفقراء وتعييرهم بقلة المال والولد

﴿ **قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذى خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا * لكنا هو الله ربى ولا أشرك بربى أحدا * ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله إن ترن أنا أقل منك مالاً وولداً** ﴾ . [الكهف ٣٧ - ٣٩] .

يقول عليه الصلاة والسلام (ما أنعم الله على عبد نعمة من أهل أو مال أو ولد فيقول ما شاء الله لا قوة إلا بالله فيرى فيه آفة دون الموت) .

ويروى عن أبى موسى الأشعرى أن رسول الله قال له (ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة ؟ لا حول ولا قوة إلا بالله) .

ويمضى الفقير المؤمن يهدد الغنى المنافق بزوال النعمة وأن يرسل الله عليها عذاباً مطراً شديداً أو عواصف تقلع الأشجار وتقضى على الثمار وتتركها يبابا خاوية على عروشها بينما يعطينى الله خيراً من جنتك فى الدنيا فإن لم يكن ففى الآخرة فالجنة جزاء الصابرين الشاكرين ﴿ **فعسى ربى أن يؤتين خيراً من جنتك ويرسل عليها حسباناً من السماء فتصبح صعيداً زلقا * أو يصبح ماؤها غوراً فلن تستطيع له طلبا** ﴾ [الكهف ٤٠ - ٤١] .

وكانت أبواب السماء مفتوحة فسلط الله على جنة الكافر عذاباً شديداً حولها إلى أرض سوداء وغيض الماء ودخلها وهو يتحسر ويضرب كفاً بكف ويندم حيث لا ينفع الندم ولم ينفعه ماله ولم تغن عنه جماعته ﴿ **وأحيط بثمره فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها وهى خاوية على عروشها ويقول ياليتنى لم أشرك بربى أحدا * ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله وما كان منتصرا** ﴾ [الكهف ٤٢ - ٤٣] .

لقد عاد الجميع إلى الله وهو يتولاهم هذا بالنعيم وهذا بالعذاب ﴿ **هنالك الولاية لله الحق هو خير ثواباً وخير عقباً** ﴾ [الكهف ٤٤] .

كما قال ﴿ **ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين** ﴾ [الأنعام ٦٢] .

صداقة مهلكة

كم فى الدنيا من صداقات إما نافعة وإما مهلكة ، ولا ينفع الإنسان إلا صديق تقى يعينه على بره ويمضى معه فى طريق التقوى ، وأما الصداقة التى تحرض على المعصية والخوض فى الحرام فهذه صداقة ضارة .

والقرآن يعرض علينا مشهداً من مشاهد يوم القيامة بعد أن يستقر أهل الجنة فى الجنة وأهل النار فى النار ويرى أهل الجنة النعيم الدائم ويتمتعون بالحور العين وبكئوس خمر لا تسكر ولا تحدث قيئاً أو صداعاً والفاكهة دائمة لا مقطوعة ولا ممنوعة والفرش ناعمة والسرر متقابلة والله يصف نعيم أهل الجنة بأن رزقهم دائم وهم مخلدون فى الجنة ﴿ **أولئك لهم رزق معلوم * فواكه وهم مكرمون * فى جنات النعيم * على سرر متقابلين * يطاف عليهم بكأس من معين * بيضاء لذة للشاربين * لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون * وعندهم قاصرات الطرف عين * كأنهن بيض مكنون** ﴾ [الصافات ٤١ - ٤٩] .

الحور العين كالبيض المصون لم تمسه يد .

وبينما أهل الجنة يتسامرون يتذكر أحدهم صديقاً له فى الدنيا كاد أن يدفعه إلى الشرك وإلى معصية الله وينفى البعث والجزاء ﴿ **فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون * قال قائل منهم إنى كان لى قرين * يقول أإنك لمن المصدقين * أإذا متنا وكنا تراباً وعظاماً أإنا لمدينون** ﴾ .

[الصافات ٥٠ - ٥٣]

ويكشف الله الحجب فيرى صاحبه هذا فى نار جهنم فيناديه يا فلان والله كدت تهلكنى بأفكارك الشيطانية ولولا فضل الله ورحمته لكنت معك

وذكره بما كان يردده من أن المـوت فى الدنيـا هـو النهاية ، وليس هناك بعث ولا عذاب ، وأولى أن ننعم فى الدنيا ونتمرغ فى المعاصى ، لقد فزنا بالجنة بعد أن ابتعدت عنك وعن وساوسك ، وهذا النعيم يستحق منى الصلاة والصيام والخوف من الله ﴿ **قال هل أنتم مطلعون * فاطلع فرآه فى سواء الجحيم * قال تالله إن كدت لتردين * ولولا نعمة ربى لكنت من المحضرين * أفما نحن بميتين * إلا موتتنا الأولى وما نحن بمعذبين * إن هذا لهو الفوز العظيم * لمثل هذا فليعمل العاملون** ﴾ .

[الصافات ٥٤ – ٦١]

ويستمر هذا فى مخاطبته هل ما أنا فيه من نعيم الجنة خير أم النار التى تكوى بها والزقوم الذى تأكله فينشب فى حلقك فإذا أردت أن تحركه شربت الحميم والغسلين ؟ طعامك من شجرة الزقوم وهى شجرة تنبت فى جهنم ، ثمارها مثل رءوس الشياطين لبشاعتها ونتانة رائحتها ، جعلها الله فتنة للظالمين ﴿ **أذلك خير نزلاً أم شجرة الزقوم * إنا جعلنها فتنة للظالمين * إنها شجرة تخرج فى أصل الجحيم * طلعها كأنه رءوس الشياطين * فإنهم لآكلون منها فمالئون منها البطون * ثم إن لهم عليها لشوباً من حميم * ثم إن مرجعهم لإلى الجحيم * إنهم ألفوا آباءهم ضالين * فهم على آثارهم يهرعون** ﴾ [الصافات ٦٢ – ٧٠].

وكان أبو جهل يسخر من (شجرة الزقوم) ويقول (إنها عجوة يثرب نتزقمها تزقماً) فأنزل الله ﴿ **إن شجرة الزقوم * طعام الأثيم * كالمهل يغلى فى البطون * كغلى الحميم * خذوه فاعتلوه إلى سواء الجحيم * ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم * ذق إنك أنت العزيز الكريم** ﴾ .

[الدخان ٤٣ – ٤٩]

* * *

أصحاب الجنة النادمون

حق الله لابد أن يؤدى ، والزكاة فرض من فروض الإسلام تؤخذ من الأغنياء وتعطى للفقراء ، وهى سد للثغرات وستر للعورات ومنع للأحقاد ، والزكاة متنوعة (زكاة المال) (زكاة عروض التجارة) (زكاة الثمار والزروع) (زكاة الأنعام) (زكاة الذهب والفضة) والقرآن يعرض علينا قصة مؤثرة لرجل صالح كان حريصاً على أن يؤدى (زكاة الزرع والثمار) قبل أن ينقل المحاصيل إلى البيت .

وكان الفقراء والمساكين يعرفون الموعد فيذهبون إليه فيعطى كل ذى حق حقه ، ومات الرجل وخلف أولاداً طمعوا فى هذه الثروة ، وأرادوا أن يأكلوا حق الفقير والمسكين والسائل والمحروم ، ولم يسيروا فى طريق أبيهم الصالح ، وتعاهدوا على أن يقطفوا الثمار ليلاً قبل أن يحس بهم الفقراء ، وبينما هم يتآمرون ويحددون موعد الذهاب كان الله أسرع فأرسل على الجنة آفة فتحولت إلى قطعة سوداء ﴿ **إنا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة إذ أقسموا ليصرمنها** - ليقطعونها - **مصبحين * ولا يستثنون *** - لا يبقون منها شيئاً - **فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون * فأصبحت كالصريم** ﴾ [القلم ١٧ - ٢٠] .

قيل : كانت عنباً فقضى الله على القطوف ، وأبقى الصريم وهو العنب التالف الذى لا يغنى شيئاً . ويصور القرآن مخططهم وحرصهم على منع حقوق الفقراء ومضيهم فى قوة وعزم . وكانت المفاجأة أن تحولت الحديقة المثمرة إلى هشيم وظنوا بادئ الأمر أنهم ضلوا الطريق ، لكن تأكدوا منها

وعاتب بعضهم بعضاً وتلاوموا وندموا حيث لا ينفع الندم ، وتمنوا لو أبدلهم الله خيراً منها ، وهيهات ، إنهم يستحقون القطيعة والفقر ﴿ **فتنادوا مصبحين * أن اغدوا على حرثكم إن كنتم صارمين *** – مصممين عازمين – **فانطلقوا وهم يتخافتون *** – يتحدثون همساً – **أن لاَّ يدخلنها اليوم عليكم مسكين * وغدوا على حردٍ** – قوة وشدة – **قادرين * فلما رأوها قالوا إنا لضالون * بل نحن محرومون * قال أوسطهم ألم أقل لكم لولا تسبحون * قالوا سبحان ربنا إنا كنا ظالمين * فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون * قالوا ياويلنا إنا كنا طاغين * عسى ربنا أن يبدلنا خيراً منها إنا إلى ربنا راغبون * كذلك العذاب ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون** ﴾ [القلم ٢١ – ٣٣] .

فهذا عذاب الدنيا لمن بخل بما آتاه الله ومنع حق الفقير . يقول عليه الصلاة والسلام (إياكم والمعاصى ، إن العبد ليذنب الذنب فيحرم به رزقاً قد هيىء له) .

* * *

مؤامرة
فى بيت رسول الله

كان النبى ﷺ يعدل بين نسائه ، وكان يخصص لكل واحدة منهن ليلة ، وفى ليلة حفصة دخلت (مارية القبطية أم ولده إبراهيم) عليه فأخذ يداعبها ، ودخلت حفصة فغضبت ، وقالت (فى ليلتى وعلى فراشى !؟) فحاول النبى أن يسترضيها وأقسم بالله لن يمس مارية بعد اليوم . وطلب من حفصة أن تكتم ذلك لكنها أسرعت وأخبرت السيدة عائشة ففرحتا وتكلمتا بكلام لا يليق . فأخبر الله نبيه ومنعه أن يستمر فى قسمه وإنما يعود لمارية ويكفر عن يمينه ولا يصح أن يجعل مرضاة إحدى زوجاته خروجاً على الحق ﴿ **يا أيها النبى لم تحرم ما أحل الله لك تبتغى مرضاة أزواجك والله غفور رحيم * قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم والله مولاكم وهو العليم الحكيم** ﴾ [التحريم ١ - ٢] .

وقد روى أن رجلاً قال لرسول الله (إنى جعلت امرأتى على حراماً) فقال (كذبت لا تحرم عليك زوجتك) وقرأ الآية .

وقيل إن سبب نزول هذه الآيات أن زينب بنت جحش زوجة رسول الله كانت تصنع شراباً من عسل النحل يحبه النبى وكان يستزيد منه ، ولما علمت (عائشة وحفصة) اتفقتا فيما بينهما على أن يكره رسول الله هذا المشروب ، وإذا لقيته إحداهما بعد أن يشرب عند زينب تقول له (إنى أشم منك رائحة مغافير) والمغافير نوع من الصمغ رائحته كريهة ، ولكن طعمه طيب (والنبى كان يكره الروائح الخبيثة) وهو القائل (حبب إلى من دنياكم النساء والطيب وجعلت قرة عينى فى الصلاة) كما أن جبريل كان ينزل عليه والملائكة تنفر من الرائحة الخبيثة ، ولذا كان يقول (لولا أن الملك ينزل على لأكلت الثوم والبصل) .

شرب النبى عنـد زينب وخرج ، فلقيته (حفصة بنت عمر) فقالت (يا رسول الله إنى أشم منك رائحة مغافير) ، فقال النبى : (ما شربت مغافير وإنما شراب من عسل النحل تصنعه زينب) . فقالت حفصة (لعلها أضافت إليه مغافيرليزداد حلاوة) فأقسم النبى ألا يشربه . وطلب من (حفصة) أن تكتم ذلك ولا تحـدث به أحداً ، لكنها أسرعت إلى (عائشة) وأخبرتها وأخذتا تضحكان لنجاح المؤامرة ، والله مطلع فأخبر الله نبيه فلما واجه (حفصة) ظنت أن عائشة كما أو قعت بزينب تريد أن توقع بها لكنه أخبرها أن الله هو الذى أطلعه (ولم ينقل كل الكلام كما نقله الوحى) وإنما ذكر بعضاً وأعرض عن بعض ﴿ **وإذ أسر النبى إلى بعض أزواجه حديثاً فلما نبأت به وأظهره الله عليه عرف بعضه وأعرض عن بعض فلما نبأها به قالت من أنبأك هذا قال نبأنى العليم الخبير** ﴾ [التحريم ٣] .

وحذر القرآن زوجات النبى عامة (وعائشة وحفصة خاصة) ، وطالب الاثنتين بالتوبة والإنابة إلى الحق وعدم العودة إلى هذه المهاترات ، وإلا فإن الله سيعلن الحرب عليهما وسيناصر النبى جبريل وصالح المؤمنين – أبو بكر وعمر وعثمان وعلى وغيرهم – والملائكة أيضاً ينـاصرونه فهى معركة لأنه لا يصح أن يحدث هذا فى بيت النبوة ولا أن تكشف الزوجة أسرار زوجها ﴿ **إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما وإن تظاهرا عليه** – من التظاهر – **فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير** ﴾ [التحريم ٤] .

وهذا يدل على أن المؤمنين أفضل من الملائكة ، وأن جبريل فى خدمة رسول الله وهدد الله زوجات النبى إذا فعلن ذلك أن يطلقهن رسول الله ، ويسوق الله إليه نساء متصفات بالإيمان والقنوت والتوبة منهن الثيبات – اللاتى سبق لهن الزواج والأبكار ، كأنما يريد أن تسود هذه الصفات فى

زوجات رسول الله ﴿ **عسى ربه إن طلقكن أن يبـدله أزواجاً خيراً منكن مسلمات مؤمنات قانتات تائبـات عابدات سائحات** – كثيرات الصيام – **ثيبات وأبـكارا** ﴾ [التحريم ٥] .

ولكى تتم الفائدة وتنفع التربية ساق الله لزوجات النبى مثلين .

الأول : فى النساء الفاسدات وخص (زوجة نوح) التى كانت تتهمه بالجنون وتنحاز إلى قومها وتحرض عليه ولده ، فهلكت مع من هلكوا بالطوفان ، (وزوجة لوط) التى رضيت بفعال قومها وارتكابهم فاحشة اللواط وعصت رسولها وكانت تخبر قومها بأضيافه ولم تنفعهما نبوة زوجيهما ودخلتا النار ﴿ **ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئاً وقيل ادخلا النار مع الداخلين** ﴾ [التحريم ١٠] .

الثانى : النساء الفضليات الصالحات اللائى دافعن عن العقيدة (آسية امرأة فرعون) التى تركت الملك والتاج ورضيت بجوار ربها ﴿ **وضرب الله مثلاً للذين آمنوا امرأة فرعون إذ قالت رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة ونجنى من فرعون وعمله ونجنى من القوم الظالمين** ﴾ [التحريم ١١] .

(**والسيدة مريم**) التى استوعبت الشريعة الموسوية وحفظت التوراة ولزمت العفاف والتقوى ﴿ **ومريم ابنـة عمران التى أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصـدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القـانتين** ﴾ [التحريم ١٢] .

وكأن المولى وهو يسوق هـذين المثـالين يقول لزوجـات النبى : اخترن ما يرضيكن ، وبعد هذه الحادثة لزمت نساء النبى الأدب مع رسول الله .

* * *

شكوى امرأة
مظلومة أنصفتها السماء

إنها (خولة بنت ثعلبة) كانت زوجة لابن عمها (أوس بن الصامت) وكان رجلا منحرف المزاج سريع الغضب وذات يوم قال لها (أنت على كظهر أمى) وكان الرجل فى الجاهلية إذا قالها لامرأته تحرم عليه (فلا هى بالمتزوجة ولا هى بالمطلقة بل تبقى معلقة) وأراد أن يعود إليها فقالت (لا حتى أستشير رسول الله) ولما قصت على رسول الله ماحدث ولم يكن قد نزل وحى قال لها (ياخولة لا أظنك إلا أنك حرمت عليه) فأخذت تبكى وتقول (لقد كبر سنى ونثر بطنى - ماعدت أنجب - فأين أذهب) ثم قالت (إن لى منه صبية إن ضممتهم إليه ضاعوا وإن ضممتهم إلى جاعوا) . ثم سألت المولى أن ينزل قرآنا على قلب النبى يفرج كربها ولم يمض قليل حتى نزل الوحى (بصدر سورة المجادلة) وأن الله سمع شكواها من فوق سبع سموات ﴿ **قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها وتشتكى إلى الله والله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير** ﴾ [المجادلة ١] .

ونزل (تشريع الظهار) من أجل هذه المرأة (والظهار) ليس طلاقاً وقد شدد الله فى كفارته (فإذا قال الرجل لامرأته أنت على كظهر أمى) فلا يمسها إلا إذا قدم كفارة (إما تحرير رقبة) وقد انتهى عهد الرقاب (أو صيام شهرين متتابعين ستين يوماً) فإن لم يستطع فإنه يطعم ستين مسكينا عن كل يوم مسكين ذلك أنه لا يصح أن يضع الرجل أمه فى مكان

زوجته فهذا بغى وظلم ﴿ **الذين يظاهرون منكم من نسائهم ماهن أمهاتهم إن أمهاتهم إلا اللائى ولدنهم وإنهم ليقــولون منكراً من القــول وزوراً** ﴾ [المجادلة ٢] .

هذه المرأة (خولة بنت ثعلبة) أرادت أن تعرف من رسول الله موقفها فنزل من أجلها تشريع يعمل به إلى يوم القيامة .

وقد روى أنها قابلت (عمر بن الخطاب) وهو خليفة فى جماعة من الصحابة فنادت عليه فأسرع إليها فأمسكت بأذنه وقالت له (لقد عرفتك صغيراً تدعى عميراً - تصغير عمر - ثم سميت عمراً ثم أطلق عليك أمير المؤمنين فاتق الله فى الرعية ياعمر) وهو منصت لها ولمـا عاد إلى أصحابه وقد ضايقهم مافعلته العجوز قال لهم (ويحكم أتدرون من هذه ؟ إنها خولة بنت ثعلبة التى سمع الله شكواها من فوق سبع سموات والله لو وقفت طوال النهار لوقفت معها ما تركتها إلا لصلاة) ..

وقيل إنها المرأة التى عارضت (عمر) لمـا أراد أن يحدد المهور لأنه رأى سوق الزواج كاسدة فقالت له (أما قرأت القرآن) ثم قرأت ﴿ **وإن أردتم استبـدال زوج مكان زوج وآتيـتم إحداهن قنطاراً فلا تأخـذوا منه شيئاً أتأخذونه بهتاناً وإثماً مبيناً** ﴾ [النساء ٢٠] .

فكأن الإسلام أوصــل مهر المرأة إلى (قنطار من ذهــب) لأن المهر تقدير من الرجــل للمرأة وحسب حالتــه الاجتـماعية فـلا يمــكن أن تتساوى المهــور .

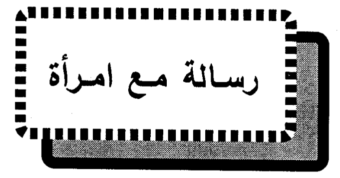
* * *

شـاب تـقى وشـيـخ شـقى

كان المنافقون كثرة فى المدينة (والنفاق أن تظهر غير ما تبطن) وكان المنافقون خطراً على المسلمين ، وآذووا النبى كثيراً وتحمل منهم الويلات ، وكانوا يضمرون له الكراهية والعداوة ، لكنهم لايجرءون على الإفصاح بذلك . كان أحد المنافقين واسمه (الجلاس بن سويد بن الصامت) متزوجا (أم عمير بن سعد) وكان عمير صغيراً لكنه كان راسخ الإيمان . ولما نزلت آيات ذم المنافقين قال (الجلاس) (لئن كان الرجل صادقاً لنحن أشر من الحمير) فسمعها (عمير) وقال (يا جلاس إنى لأحبك ولكنى أحب رسول الله أكثر) وقال لقد قلت كلمة إن ذكرتها تفضحنى وإن كتمتها تهلكنى ، والله لأخبرن رسول الله بها) واستدعى النبى (الجلاس) فحلف بالله أنه ما قالها وأن عميراً كاذب لكن الله أنزل قرآناً فضح به الجلاس واعتبر أن ما قاله هو كلمة الكفر وأنه كفر بعد الإسلام وندد به كغنى فاحش وطالبه بالتوبة وإلا فهو العذاب الأليم ﴿ **يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم وهموا بمالم ينالوا وما نقموا إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله فإن يتوبوا يك خيراً لهم وإن يتولوا يعذبهم الله عذاباً أليماً فى الدنيا والآخرة ومالهم فى الأرض من ولى ولا نصير** ﴾ [التوبة ٧٤] .

وقال النبى (لعمير بن سعد) (وفت أذنك ياغلام) وقيل إن (الجلاس تاب وأناب وصلح إيمانه) وكان النبى يعهد إلى عمير رغم حداثة سنه بمهام خطيرة ، وقد أجلّه الصحابة لموقفه الكريم الذى أيده فيه القرآن .

* * *



رسالة مع امرأة

لقد حاربت قريش النبى فى معارك طاحنة (يوم بدر)(ويوم أحد) ، (وفى يوم الأحزاب) تجمع المشركون فى عشرة آلاف مقاتل حاصروا المدينة وأحاطوا بها كما يحيط الخاتم بالإصبع ، ولكن الله (نصر عبده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده) ، وقال النبى (الآن نغزوهم ولا يغزوننا) ثم عقد النبى مع قريش (صلح الحديبية) الذى كان نصراً مؤزراً وفتحاً مبيناً لكن قريشاً نقضت الصلح ، وتعاونت مع بكر لقتل رجال خزاعة فى الحرم وكانت خزاعة حليفة رسول الله ولم ينج من المذبحة إلا رجل واحد يسمى (عمرو بن سالم) فأتى النبى وأخبره فقال النبى (أو قد فعلتها قريش ؟ نصرت يا عمرو بن سالم) .

واستعد النبى لفتح مكة وكان يدعو الله ألا يكون هناك قتال ، وأن يدخلها بدون حرب ونادى منادى رسول الله (من كان سامعاً ومطيعاً فلا يشهدن رمضان إلا فى المدينة) . وتجمع المسلمون فى عشرة آلاف وكان النبى كعادته لا يصرح بوجهته زيادة فى الحيطة وحتى لا تتسرب الأخبار إلى العدو . ولكن رجلا من أصحاب النبى أحس أن الجيش متجه إلى مكة فأراد أن يسبق وينال يداً عند قريش ، حتى لاتقاوم وأرسل رسالة مع امرأة تسمى (الجرادة) وأخبر الوحى رسول الله فبعث (على بن أبى طالب) (والزبير بن العوام) وراءها ولحقا بها فى مكان يسمى (نخلة) فأوقفاها وفتشا متاعها فلم يجدا الرسالة فقال (الزبير) نعود إلى رسول الله ونخبره ، فقال (على) : (ماكان الوحى ليكذب على رسول الله)

وهددها (على) وقال لها (اخرجى الرسالة وإلا جردتك كما ولدتك أمك) ، فخافت وأخرجت الرسالة من شعرها ، وعاد الصاحبان بالرسالة والمرأة ، وطلب رسول الله أن ينهض من كتب الرسالة إلى قريش ولم يرد أحد فقال (ينهض وإلا نزل جبريل وأوقفه) فنهض (حاطب بن أبى بلتعة) وقال (يا رسول الله والله ما بدلت ولا غيرت وإنما أردت أن تكون لى يد عند قريش ، وأنا أعلم أن الله سيفتح عليك مكة) ، فقال عمر (مرنى يارسول الله أضرب عنقه فإنه منافق) فابتسم النبى وقال (يا عمر إنه ممن شهد بدراً ولعل الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فإنى قد غفرت لكم) وكان (حاطب) ممن شاركوا فى (معركة بدر) (ومن الذين بايعوا تحت شجرة الرضوان وبشرهم النبى بأنهم من أهل الجنة) .

ومضى رسول الله بالجيش ودعا (اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نبغتها فى دارها) وحقق الله له الرجاء ودخل مكة بدون قتال وحطم الأصنام وارتفع صوت بلال لأول مرة فوق الكعبة وبعد فتح مكة جاءت وفود العرب تبايع النبى على الإسلام ﴿ **إذا جاء نصر الله والفتح * ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا * فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا** ﴾ [النصر ١ - ٣] .

* * *

تهديد طاغيـة

كان أبو جهل يتزعم معسكر تعذيب المسلمين ، وكان يكن للنبى حقداً كبيراً ، وكان يحذره من الصلاة عند الكعبة والنبى لا يلقى له بالاً .

وأبو جهل أطغاه المال والجاه ، واستغنى عن الله ﴿ **كلا إن الإنسان ليطغى * أن رآه استغنى** ﴾ [العلق ٦ - ٧] .

وذات يوم صلى النبى عند الكعبة فقال له أبو جهل : ألم أنهك عن هذا ؟ فأغلظ له النبى ورد عليه رداً عنيفاً فغضب أبو جهل وقال (أترد على وأنا أعز هذا الوادى نادياً !؟) فذمه الله وتوعده وهدده بالزبانية وهم حراس جهنم وقال المولى ﴿ **أرأيت الذى ينهى * عبداً إذا صلى** ﴾ [العلق ٩ - ١٠].

والذى تهدده يا أبا جهل على طريق الحق والهدى والتقوى ﴿ **أرأيت إن كان على الهدى * أو أمر بالتقوى** ﴾ [العلق ١١ - ١٢] .

ثم يطمئن الله نبيه فأبو جهل كذاب متكبر معرض عن الحق ﴿ **أرأيت إن كذب وتولى * ألم يعلم بأن الله يرى** ﴾ [العلق ١٣ - ١٤] .

فالله معك يا محمد ويرى ويسمع ما يدور ولن يتركك لهذا الجبار .

ثم يهدد الله أبا جهل ﴿ **كلا لئن لم ينته لنسفعا بالناصية** ﴾ [العلق ١٥] .

ناصية متشحة بالسواد فهى ناصية كاذبة فيما تقول خاطئة فيما تفعل : ﴿ **ناصية كاذبة خاطئة** ﴾ [العلق ١٦] .

ويتحدى المولى أن يأتى أبو جهل برجاله وأعوانه فسيلاقون زبانية جهنم ليعلم من يغلب حزبنا أو حزبه ﴿ **فليدع ناديه * سندعو الزبانية** ﴾ .

[العلق ١٧ - ١٨]

ولقد قال أبو جهل ذات يوم لئن رأيت محمداً يصلى عند الكعبة

لأقتلنه فقال النبى (لئن فعل ذلك لتخطفنه الملائكة) . وروى أنه أخذ حجراً ليفتح به رأس النبى وهو ساجد ، ولما اقترب عاد مسرعاً وهو فى حالة هلع ، فلما سألوه قال (لقد رأيت فحلا من الإبل فغرفاه يريد أن يلتهمنى) فقال النبى (إنه جبريل ولو اقترب لقطعه عضواً عضواً) .

وطمأن الله النبى أنه قريب منه وكلما سجد ازداد قرباً ﴿ **كلا لا تطعه واسجد واقترب** ﴾ [العلق ١٩] . ويقول عليه الصلاة والسلام « أقرب مايكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا الدعاء » . وكان الأخنس بن شريق من المعادين لرسول الله ويحاول تشويه سمعته ، فذمه المولى ووصفه بصفات ساخرة تحط من قدره ، والله أوصى نبيه ألا يستمع إلى ترهاته فإنه إنسان خسيس ضمن مجموعة السادة من قريش الذين يكيدون للإسلام ﴿ **فلا تطع المكذبين * ودوا لو تدهن فيدهنون** ﴾ [القلم ٨ - ٩] .

ودوا لو أنك يامحمد عبدت آلهتهم وهيهات وهم يتظاهرون بالإسلام ، ثم يرسم له صورة مزرية جمعت كل النقائص فهو حلاف كثير الحلف بالباطل ، وهذا دليل المهانة وضعف الشخصية ، وهو يجترئ على أسماء الله ، وهو يمشى بين الناس بالنميمة ، ويجرح الآخرين فى وجوههم ﴿ **ولا تطع كل حلاف مهين * هماز مشاء بنميم** ﴾ [القلم ١٠ - ١١] .

يسعده أن يوقع بين الناس ، وهو مناع للخير يحرض على الشر عدوانى بطبعه عاص بكل أنواع المعاصى ﴿ **مناع للخير معتد أثيم** ﴾ [القلم ١٢] .

وهو أكول شره وله زنمة تشبه زنمة الشاة وقيل الزنيم الدعى فى قومه مشكوك فى نسبه ﴿ **عتل بعد ذلك زنيم** ﴾ [القلم ١٣] .

غره ماله وأولاده ودفعه ذلك أن كذب بآيات الله واعتبرها من أساطير الأولين ﴿ **أن كان ذا مال وبنين * إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين** ﴾ [القلم ١٤ - ١٥] . وهذا جزاؤه الوسم على الأنف كما توسم الأنعام ويسود وجهه يوم القيامة ﴿ **سنسمه على الخرطوم** ﴾ [القلم ١٦] .

أباطيل يهودية

١ - لقد كان اليهود فى المدينة يمثلون شوكة فى جنب المسلمين وكانوا يشككون فى رسالة النبى ، ويتصيدون له كل كلمة ، ويبنون عليها جبالا من الأوهام . فلما نزل ﴿ **من ذا الذى يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له أضعافاً كثيرة والله يقبض ويبسط وإليه ترجعون** ﴾ .

[البقرة ٢٤٥]

قال اليهود (إن الرب الذى يستقرض الناس المال لا يصلح أن يكون ربًا فنزلت) ﴿ **لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء سنكتب ما قالوا** ﴾ [آل عمران ١٨١] .

٢ - وكان اليهود يدعون أن (التوراة) هى كلمة الله الكاملة التى ما بعدها من كلمة ، فلما نزل القرآن شككوا فيه ووصفوه بأنه مجموعة أساطير ، وأن الوحى سينقطع عن رسول الله ، لكن الله أخبر أن كلماته لا تنفد معانيها ولو حولنا البحار مداداً ـ حبراً - وجعلنا الأشجار أقلاماً لانتهت البحار ولتقصفت الأقلام وبقيت كلمات الله ممتدة عبر الزمن ﴿ **ولو أنما فى الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله** ﴾ [لقمان ٢٧] .

٣ - واليهود قبل هجرة النبى كانوا يعيشون على الإيقاع بين (الخزرج والأوس)وهما (قبيلتا الأنصار) فلما دخل النبى المدينة جمع الفريقين على الحب ولم يعد بينهما منازعات . وقد حاول يهودى أن يثير الحرب من جديد فأخذ ينشد أشعاراً من (يوم بعاث) وهو اليوم الذى اقتتل فيه (الأوس والخزرج) وانتصرت فيه (الأوس) ، واستطاع أن يثير

الفريقين فنهضا بالسيوف ولكن النبى أسرع إليهم وقال (أما وأنا حى فلا) وأسكنهما ونزل القرآن يحذر من ألاعيب اليهود والجرى وراء فتنهم ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين * وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم** ﴾ .

[آل عمران ١٠٠ - ١٠١]

وذكرهم المولى بما كانوا عليه من شقاق وخلاف وكادت نار العداوة أن تأكلهم ، لكن الله ألف بين قلوبهم وجمعهم حول رسول الله وهو يطالبهم بالاعتصام بالدين ونشر الألفة بينهم ﴿ **واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها** ﴾
[آل عمران ١٠٣]

٤ - وقد حاول أحد اليهود فى السوق أن يكشف سوءة امرأة من الأنصار فقتله زوجها فتكاثر عليه اليهود وقتلوه فاعتبر النبى ذلك نقضاً لعهده وأجلاهم عن المدينة ، وحاول المنافقون أن يحرضوهم على المقاومة وهم معهم يناصرونهم لكن الله أخزاهم ونزل قرآن يبين أن المنافقين كاذبون وأنهم لن يقدروا على نصرة اليهود ولن يستطيعوا الوقوف أمام قوة المسلمين ﴿ **ألم تر إلى الذين نافقوا يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحداً أبداً وإن قوتلتم لننصرنكم والله يشهد إنهم لكاذبون * لئن أخرجوا لايخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم ليولن الأدبار ثم لا ينصرون *لأنتم أشد رهبة فى صدورهم من الله ذلك بأنهم قوم لا يفقهون** ﴾ [الحشر١١- ١٣] .

وبين المولى أن اليهود جبناء لا يقاتلون إلا وراء أسوار محكمة أو دبابة أو طائرة ولا يعرفون المواجهة مع العدو ﴿ **لا يقاتلونكم جميعاً إلا فى قرى محصنة أو من وراء جدر بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى ذلك بأنهم قوم لا يعقلون** ﴾ [الحشر ١٤] .

٥ - كما حاول اليهود اغتيال رسول الله واجلسوه تحت حائط وحاولوا إسقاط حجر عليه لكن الوحى أخبره فنهض وأمرهم بالجلاء عن المدينة وما كان العرب يظنون أن (يهود بنى النضير) يتركون حصونهم ويتخلون عن ممتلكاتهم . وقبل خروجهم خربوا حصونهم حتى لا ينتفع بها المسلمون ﴿ **هو الذى أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر ما ظننتم أن يخرجوا وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف فى قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدى المؤمنين فاعتبروا يا أولى الأبصار * ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب النار** ﴾ [الحشر ٢ - ٣] .

وهذه عظة بليغة للعرب المعاصرين الذين يظنون أن دولة إسرائيل باقية للأبد ، ولا يمكن أن يحدث هذا ، فالله أنذرهم بالتشرد ، وسلط عليهم شعوباً متعددة فى فترات التاريخ المتعاقبة أنزلت بهم أشد العذاب ﴿ **وإذ تأذن ربك ليبعثن عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب إن ربك لشديد العقاب وإنه لغفور رحيم** ﴾ [الأعراف ١٦٧] .

٦ - واليهود هم الذين فضلوا أصنام قريش على دين محمد وجللوا بالعار ﴿ **ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا * أولئك الذين لعنهم الله** ﴾ [النساء ٥١ - ٥٢] .

٧ – واليهود هم الذين حاولوا فتح حصونهم للأحزاب وطعن المسلمين من الخلف ، ولكن الله ألقى فى قلوبهم الرعب ، وأفسد عليهم مخططهم واستسلم (يهود بنى قريظة) فضربت أعناق الرجال المقاتلين وسبى النساء والأطفال وغنم المسلمون أموالا طائلة واستولوا على حصونهم وأراضيهم وعوضهم الله خيراً ﴿ **وأنزل الذين ظاهروهم** – ساندوهم – **من أهل الكتاب من صياصيهم** – حصونهم – **وقذف فى قلوبهم الرعب فريقاً تقتلون وتأسرون فريقاً * وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضاً لم تطئوها وكان الله على كل شىء قديرا** ﴾ [الأحزاب ٢٦ – ٢٧] .

* * *



مأساة سبأ

قامت فى اليمن مملكة عظيمة هى (مملكة سبأ) وكان على رأسها ملكة عظيمة آمرة ناهية ، وصفها هدهد سليمان ووصف المملكة ﴿ **فمكث غير بعيد فقال أحطت بما لم تحط به وجئتك من سبأ بنبأ يقين * إنى وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شىء ولها عرش عظيم** ﴾ [النمل ٢٢ - ٢٣] .

واسلمت الملكة لما بهرها (سليمان) بآيات الله وأيقنت أنها أمام رسول كريم لاملك مغرور .

وظلت المملكة فى رفاهية وسعادة (الماء وفير) (والأرض خصبة) وعلى الجانبين أينما سرت جنات وارفة الظلال جزاء إيمانهم وعبادتهم وشكرهم لأ نعم الله ﴿ **لقد كان لسبأ فى مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور** ﴾ [سبأ ١٥].

ومضى زمن ثم عبدوا الأصنام وانحرفت الفطرة وفسدت الأخلاق فانعكس ذلك على البلاد وقلت الخيرات والأقوات ، وسلط الله على سدهم سيلا جارفاً دمر السد ، وساحت المياه وتحولت الجنات الوارفة إلى صحراء قاحلة لا تنبت إلا (الشوك والأثل والسدر والخمط) وهى نباتات صحراوية لاتسمن ولا تغنى من جوع ﴿ **فأعرضوا** - أى عن عبادة الله - **فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتى أكل خمط وأثل وشىء من سدر قليل * ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازى إلا الكفور** ﴾ [سبأ ١٦ - ١٧] .

كانت المملكة آمنة تسيرالقوافل من اليمن إلى الأرض المقدسة سواء فى مكة أو القدس فلا يعترض طريقها أحد ، فزال الأمن وهاجم قطاع الطرق القوافل ، وكأنهم هم الذين استبدلوا الخوف بالأمن والجوع بالشبع وأصبح الإنسان لا يأمن على حياته وعلى ماله ﴿ **وجعلنا بينهم وبين القرى التى باركنا فيها قرى ظاهرة وقدرنا فيها السير سيروا فيها ليالى وأياماً آمنين * فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا وظلموا أنفسهم فجعلناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق إن فى ذلك لآيات لكل صبار شكور** ﴾ [سبأ ١٨ - ١٩] .

والله بين أن العقيدة الصحيحة تجلب الرخاء ، وأن الكفر يؤدى إلى الفساد وانحراف العباد ﴿ **ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون** ﴾ [الأعراف ٩٦] .

ويقول ربنا ﴿ **والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه والذى خبث لا يخرج إلا نكدا** ﴾ [الأعراف ٥٨] .

* * *



لـما انتشر الإسلام جاء وفد من (نصارى نجران باليمن) يستطلعون خبر النبى ويجلسون إليـه فأحسن استقبالهم ، ولـما حدثهم عن عيسى قالوا (إنه ابن الله) فقال النبى لا أعلم عن عيسى إلا أنه ﴿ **رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه** ﴾ [النساء ١٧١] .

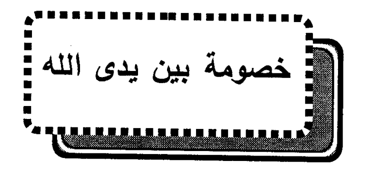
فتمسكوا برأيهم فلم يشأ النبى أن يضغط عليهم ، وإنما أنصفهم وطالبهم بأن يأتوا (بنسائهم وأولادهم) وهو يأتى بنسائه وأولاده ثم يخرجون إلى الصحراء ويدعون الله أن ينزل نقمته على الدعى الـكذاب ، فخافوا وقالوا (إنه رسول الله وستحيق اللعنة بنا) ، ثم آمنوا وصلح إيمانهم ﴿ **فمن حاجك فيه** – أى فى عيسى – **من بعد ماجاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين** ﴾ [آل عمران ٦١] .

والقول بأن عيسى ابن الله جاء من الادعاء أنه ليس له أب فالله هو أبوه (وكان آدم أولى بذلك من عيسى) فآدم ليس له أب أو أم ، ولم يدع أحد ذلك والله يقول ﴿ **إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون** ﴾ [آل عمران ٥٩] .

وقد سبق أن جـاء إلى مـكة وفد من النصـارى وجلسوا إلى الرسول واستـمعوا إلى القرآن وأنصـتوا وآمنوا به ، ولـما تهيأ الركب للرحيـل اعترضهم (أبو جهل) وقال (بئس الركب أنتم ، أرسلكم من خلفكم

لتستطلعوا أخبار هذا الرجل فما لبثتم حتى آمنتم به) وسبهم ، لكنهم لم يردوا عليه لأنه سفيه ومضوا فى سلام وسجل الله هذه الواقعة فى سورة القصص والله أوضح أنهم آمنوا فاستحقوا الجزاء مرتين مرة لإيمانهم بالكتاب الأول ومرة أخرى بالكتاب الأخير وهو القرآن ﴿ **الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون * وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين * أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا ويدرءون بالحسنة السيئة ومما رزقناهم ينفقون * وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغى الجاهلين** ﴾ [القصص ٥٢ – ٥٥] .

* * *



كانت معركة بدر أولى المعارك التى انتصر فيها الحق على الباطل ، وأطلق الله عليها (يوم الفرقان) ﴿ **وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان** ﴾ [الأنفال ٤١] .

خرج قبل المعركة ثلاثة من قريش هم (عتبة بن ربيعة) (وشيبة بن ربيعة) (والوليد بن عتبة) فأخرج لهم النبى أقرب الناس إليه (على بن أبى طالب) ابن عمه وزوج ابنته فاطمة الزهراء)(وحمزة بن عبد المطلب) عم النبى (وعبيدة بن الحارث) ابن عمه (وقتل حمزة عتبة) (وقتل على الوليد) (وتضارب شيبة وعبيدة) فقتل الاثنان وقد روى عن على قوله (أنا أول من يجثو للخصومة بين يدى الله يوم القيامة) ﴿ **هذان خصمان اختصموا فى ربهم** ﴾ [الحج ١٩] .

وقيل : اختصم (المسلمون وأهل الكتاب) ، قال أهل الكتاب (نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم فنحن أولى بالله منكم) وقال المسلمون (كتابنا يقضى على الكتب كلها ونبينا خاتم الأنبياء) فهزم المسلمون أهل الكتاب . وقيل : (يتخاصم المؤمنون والكافرون) وقيل : (تتخاصم الجنة والنار) **والأول هو الأرجح** .

وشتان بين على والوليد فالوليد يعذب فى النار ، يلبس سراويل من نار ويصب على رأسه الحميم ، وهو شديد الحرارة ، وقيل النحاس المذاب يذيب مافى بطنه من شحم وأمعاء ، ويضرب بمقامع من حديد يقول النبى (لو أن مقمعا من حديد وضع فى الأرض فاجتمع الثقلان – الإنس والجن –

ما أقلـوه – مـا حـملوه – من الأرض) ولا خـروج من النــار ﴿ **فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار يصــب من فوق رءوسهم الحـميم * يصـــهر به مافى بطونهم والجلــود * ولهم مقامــع من حـديد * كلما أرادوا أن يخرجـوا منها من غم أعيــدوا فيها وذوقـوا عـذاب الحريق** ﴾ [الحج ١٩ – ٢٢] .

(أما على) فله الجنة وما أجل نعيمها ما كان محرماً عليه فى الدنيا يناله فى الآخرة (يرتدى الحرير) (ويتحلى بالذهب) ﴿ **إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الأنهار يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير** ﴾ [الحج ٢٣] .

كما قال ﴿ **عاليهم ثياب سندس خضر وإستبرق وحلوا أساور من فـضة وسـقـاهم ربهم شـراباً طهوراً * إن هذا كـان لكم جزاء وكـان سعيكم مشكورا** ﴾ [الإنسان ٢١ – ٢٢] .

وهداهم الله إلى خير الكلام وإلى طريق الحق ، فلا لغو ولا عبث فى الجنة ، ولا نميمة ولا بغضاء ، ولا خصومات ولا مجادلة ﴿ **وهدوا إلى الطيب من القول وهدوا إلى صراط الحميد** ﴾ [الحج ٢٤] .

كما قال ﴿ **دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين** ﴾ [يونس ١٠] .

وكما قال سبحانه ﴿ **لا يسمعون فيها لغواً ولا تأثيما إلا قيلا سلاماً سلاماً** ﴾ [الواقعة ٢٥ – ٢٦] .

تم بحمد الله وتوفيقه .

عبد المعز خطاب

فهرس الكتاب

الموضـــوع	الصفحة

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ١٠٤٢٨ / ٩٩ م

دار النصر للطباعة الإسلامية
٢ - شارع نشاطى شبرا القاهرة
الرقم البريدى ـــ ١١٢٣١